اختفاء الكرتونة السياسية لا يمنع المصريين من المشاركة الانتخابية

ص3

نجاة مكي

فنانة إماراتية تخلق من التراث عالما روحيا مجردا

ص8

«دونية» المرأة منطلق لكل أشكال العنف ضد نساء كردستان

ص15

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2023/12/10

26 جمادى الأولى 1445

السنة 46 العدد 12979

Sunday 10/12/2023

46th Year, Issue 12979

كوب 28 يتحول إلى ساحة مواجهة بسبب التعامل مع الوقود الأحفوري

انتقادات واسعة لمسعى من أوبك للاكتفاء بالتركيز على الانبعاثات

دبي - يضغط أعضاء منظمة البلدان المصدرة للبترول (أوبك) لإحباط محاولات إدراج صيغة حول "التخلص التدريجي" من الوقود الأحفوري في اتفاق مؤتمر الأمم المتحدة المعني بتغير المناخ (كوب 28)، في ما يرغب العديد من الدول بإدراج الاستغناء عن الوقود الأحفوري في الاتفاق النهائي المتوقع ليوم الثلاثاء.

وجاء هذا الجدل بعد رسالة مثيرة للجدل منسوبة إلى الأمين العام لأوبك هيثم الغيص حث فيها أعضاء المنظمة على رفض أي اتفاق يستهدف الوقود الأحفوري وليس الانبعاثات، قائلا "يبدو أن الضغط غير المبرر وغير المتناسب ضد الوقود الأحفوري قد يصل إلى نقطة تنطوي على عواقب لا رجعة فيها".

وقوبلت رسالة الغيص بانتقادات من دول ومنظمات مختلفة تعنى بشؤون المناخ.

> السعودية وروسيا تصران على أن تركز النقاشات فقط على الحد من تلوث المناخ دون التطرق إلى الوقود الأحفوري

وقالت وزيرة التحول البيئي الإسبانية تيريزا ريبيرا التي تتولى بلادها الرئاسة نصف السنوية لمجلس الاتحاد الأوروبي السبت للصحافيين "أعتقد أنه أمر مثير للاشمئزاز أن تعارض دول أوبك وضع المعايير حيث ينبغي أن تكون" في ما يتعلق بالمناخ.

وعبرت وزيرة انتقال الطاقة الفرنسية أنييس بانييه روناشيه عن "الاستغراب" و"الغضب" حيال ذلك.

ورفض الغيص التعليق على الرسالة. وقال إن "العالم يحتاج إلى استثمارات كبيرة في جميع مصادر الطاقة بما فيها الهيدروكربونات.. يجب أن تكون تحولات الطاقة عادلة ونزيهة وشاملة".

وقال مراقبون في المفاوضات إن السعودية وروسيا كانتا من بين الدول التي تصر على أن تركز القمة المنعقدة في دبي فقط على الحد من تلوث المناخ، دون ذكر المسبب له وهو الوقود الأحفوري.

ومن خلال الإصرار على التركيز على الانبعاثات بدلا من الوقود الأحفوري، يبدو أن البلدين يعتمدان على آفاق تكنولوجيا احتجاز الكربون المكلفة، والتي تقول لجنة علوم المناخ التابعة للأمم المتحدة إنها لا يمكن أن تكون بديلا عن الحد من استخدام الوقود الأحفوري على مستوى العالم.

على الجانب الآخر، تطالب ما لا يقل عن 80 دولة منها الولايات المتحدة وبلدان الاتحاد الأوروبي والعديد من الدول الفقيرة والمعرضة لآثار تغير المناخ، بأن يدعو اتفاق كوب 28 بوضوح إلى إنهاء استخدام الوقود الأحفوري في نهاية المطاف.

ولم تؤيد دول أخرى مثل الهند والصين صراحة التخلص التدريجي من الوقود الأحفوري في المؤتمر، لكنها دعمت دعوة تلقى تأييدا واسعا لتعزيز الطاقة المتجددة.

وأكد المبعوث الصيني للمناخ شيه تشن هوا السبت إحراز "بعض التقدم" في المفاوضات المعقّدة حول الوقود الأحفوري.

وقالت رئيسة أيرلندا السابقة ماري روبنسون التي ترأس مجموعة تعرف باسم "الحكماء" وتضم زعماء عالم سابقين إن الرسالة أظهرت أن أوبك "قلقة" بشأن مسار محادثات كوب 28.

وأشارت روبنسون إلى أن "روسيا والسعودية تقفان على الجانب الخطأ من هذا، ومن المحتمل أن تضغطا بقوة. علينا حقا أن نتأكد من أن نقطة التحول تسير نحو الاتجاه الصحيح".

وقالت تينا ستيج مبعوثة جزر مارشال في بيان "لا شيء يشكل خطرا على رخاء ومستقبل جميع الناس على وجه الأرض، بما في ذلك كل مواطني دول أوبك، أكثر من الوقود الأحفوري".

وتتعرض جزر مارشال لخطر الغرق بسبب ارتفاع مستوى سطح البحر نتيجة تغير المناخ.

وتتضمن النسخة الأحدث للنص الذي يجري التفاوض حوله، وصدرت الجمعة مجموعة من الخيارات بداية من الاتفاق على "التخلص التدريجي من الوقود الأحفوري وفقا لأفضل السبل العلمية المتاحة" إلى التخلص التدريجي من "عمليات حرق الوقود الأحفوري التي لا يتم فيها التقاط الكربون واحتجازه" أو عدم ذكر الوقود الأحفوري على الإطلاق.

وقالت مبعوثة المناخ الألمانية جنيفر مورجان إن البلدان "تدخل المرحلة الحرجة من المفاوضات".

وردا على سؤال حول خطاب أوبك، تجنب ماجد السويدي المدير العام لكوب 28 مصطلح "الوقود الأحفوري" لكنه قال إن الإمارات التي ترأس القمة ترغب في التوصل إلى اتفاق لوضع العالم على المسار الصحيح نحو الوصول إلى هدف 1.5 درجة مئوية.

وقال في مؤتمر صحفي "رئيس كوب واضح للغاية منذ اليوم الأول في أنه يريد تحقيق نتيجة تضعنا بوضوح على المسار الصحيح للوصول إلى 1.5 درجة.. من الواضح أننا نريد أن نرى نتيجة واعدة قدر الإمكان ونعتقد أننا سنحققها".

وفي حديثه نيابة عن تحالف الدول الجزرية الصغيرة، عبّر سيدريك شوستر وزير البيئة في ساموا عن قلقه من تعثر محادثات هذا العام بسبب الخلافات.

وأضاف أن "هدف مصادر الطاقة المتجددة لا يمكن أن يكون بديلا عن التزام أقوى بالتخلص التدريجي من الوقود الأحفوري وإنهاء دعم الوقود الأحفوري. كوب 28 في حاجة إلى تحقيق كليهما".

وأمام جناح أوبك في مقر انعقاد مؤتمر المناخ، احتج نحو سبعة نشطاء رافعين أيديهم التي كتبوا عليها عبارات مثل "استغنوا عن النفط"، وفق لقطات شاركتها المنظمة غير الحكومية 350.org.

وعلقت هيلينا سبيريتوس من الصندوق العالمي للطبيعة قائلة "يظهر رد فعل أوبك أنهم خائفون من الدعوات المتزايدة للتخلي عن الوقود الأحفوري والتحول في مجال الطاقة".

أنظار العالم تتجه إلى نقاشات كوب 28 بالإمارات

قمة إيغاد تحاصر البرهان بخطة سياسية وعسكرية

زخم إقليمي ودولي لوقف إطلاق النار في السودان

جيبوتي/الخرطوم - أصبح قائد الجيش السوداني الفريق أول عبدالفتاح البرهان محاصرا من جهات إقليمية ودولية، بعد أن حصلت قمة إيغاد التي عقدت في جيبوتي السبت على تأييد كبير، وامتلكت تفاصيل لخارطة طريق سياسية، لن يخلو الخروج عنها من تلويح باللجوء إلى خيارات عسكرية إقليمية للتعامل مع الأزمة السودانية.

وحظيت القمة الطارئة لرؤساء الدول الأعضاء في الهيئة الحكومية للتنمية (إيغاد) بمشاركة إقليمية ودولية واسعة، وإيجاد مخرج سريع للحرب المستمرة في السودان منذ منتصف أبريل بين قوات الجيش والدعم السريع.

وأعلن رئيس الاتحاد الأفريقي موسى فكي السبت أن جيبوتي "تعقد اجتماعا بشأن الوضع العاجل في السودان، كجزء من الجهود المشتركة للاتحاد الأفريقي وإيغاد للأطراف لوقف الحرب والسماح بعملية سياسية لإعادة بناء البلاد".

وحضر القمة رؤساء السودان وجيبوتي وأوغندا وكينيا وإثيوبيا والصومال، وشارك فيها ممثلون للأمم المتحدة وجامعة الدول العربية، ومبعوثا الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي لمنطقة القرن الأفريقي.

وأكدت الرئاسة الكينية الجمعة أن القمة تناقش الأزمة السودانية وتقديم الدعم لمسار منبر جدة، الذي شهد تعثرا بسبب عدم تنفيذ بنود اتفاق بناء الثقة الموقع منذ حوالي شهرين، وتضمنت بنوده إلقاء القبض على عناصر النظام السابق الفارين من السجون، وهو ما تنصل منه وفد الجيش في محادثات جدة، وراوغ في تنفيذه.

وناقشت القمة تشكيل آلية دولية تستند على رؤية أعلنها الاتحاد الأفريقي في يونيو الماضي، وتتبنّى وقف إطلاق النار وتحويل الخرطوم إلى منطقة منزوعة السلاح ونشر قوات أفريقية لحراسة المؤسسات الإستراتيجية في العاصمة، ومراعاة الدمج بين رؤية منبر جدة، ومقترحات إيغاد التي طالبت بإجراءات لوقف الحرب وإطلاق عملية سياسية تفضي إلى انتقال السلطة إلى حكومة مدنية.

وأحرزت مشاركة سابقة لهيئة إيغاد في الأزمة السودانية عقب سقوط نظام الرئيس السابق عمر البشير تقدما في وضع خارطة طريق للمرحلة الانتقالية التي تحطمت فتراتها بسبب مناورات قائد الجيش ورغبته بعدم تسليم السلطة لحكومة مدنية.

وزادت التحركات السياسية الأيام الماضية بما يوحي بأن إيغاد تنوي الخروج بنتائج عملية يمكن تطبيقها الفترة المقبلة ولإنهاء صراع لا يزال شبحه يخيم على المنطقة.

وبحث رئيس الوزراء السوداني السابق عبدالله حمدوك سبل التوصل إلى تسوية سياسية مع رئيس دولة جنوب السودان سيلفا كير في لقاء عقد بينهما في أبوظبي، على هامش قمة المناخ في دولة الإمارات، وأصدرت السعودية، وهي أحد رعاة مفاوضات جدة، وروسيا بيانا حث على الحوار السياسي وأهمية وقف إطلاق النار.

وعدّ البيان السعودي – الروسي المشترك تعهدا دوليا وإقليميا مهمًا، يعزز تعهدات عديدة سابقة تهدف إلى وقف الحرب وتحقيق السلام المستدام في السودان.

وقالت واشنطن، وهي الراعي الآخر لمفاوضات جدة، إن مبعوثها الخاص لشؤون القرن الأفريقي مايك هامر يحضر قمة إيغاد لإبداء دعم الولايات المتحدة للجهود الإقليمية والدولية لإنهاء الصراع، وتعزيز التحول الديمقراطي، والضغط لأجل وصول المساعدات الإنسانية إلى أصحابها بلا عوائق، في إطار جولة تشمل كلا من جيبوتي وقطر وإثيوبيا خلال الفترة من 7 إلى 17 ديسمبر الحالي.

واستقبل الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش الخميس في نيويورك، سكرتير العلاقات الخارجية للحزب الشيوعي السوداني والعضو المؤسس بهيئة محامي دارفور صالح محمود، والمدير التنفيذي للمركز الأفريقي للعدالة ومساعده محمد علي، وطالبا بتدخل المنظمة الأممية لإنهاء الحرب.

ويقول مراقبون إن هذا الزخم ليس دليلا على وجود ضمانات نهائية لإمكانية أن تسفر القمة عن خطوات حاسمة لوقف إطلاق النار والتوصل إلى تسوية سياسية قابلة للتنفيذ، وهناك مخاوف من استفادة البرهان سياسيا من تداخل المبادرات وعدم استبعاد إخلاله بأيّ التزامات إقليمية ودولية، فبعد أن حوصر في مفاوضات منبر جدة يبدو كمن لجأ إلى الذهاب إلى مبادرة إيغاد التي رفضها سابقا.

عادل سيد أحمد

إيغاد مصممة على تطبيق خارطتها بالتنسيق مع منبر جدة

ويضيف المراقبون أن ما يجبر البرهان على الرضوخ أن إيغاد تملك خارطة طريق واضحة ومفصلة لحل الصراع بين قوات الجيش والدعم السريع، وأن المفاوضات تبدأ من نقاط متقدمة، وتبني خطوطها على تفاهمات تم التوصل إليها في جدة، وثمة رغبة للضغط عليه ليعلن التزامه بلا لبس بالخطة المقدمة والتعامل مع كل خطوطها بدقة، ومن بينها نشر قوات أفريقية أعلن رفضها من قبل، وشن حملة قاسية على كينيا ورئاستها لجنة إيغاد الرباعية الخاصة بالملف السوداني.

وقال المحلل السوداني عادل سيد أحمد في تصريح لـ"العرب" إن قمة إيغاد الطارئة تملك رؤية محددة للتعامل مع الأزمة باتت مطروحة على طاولتها، وفي جعبتها تفاصيل لخطة تفضي إلى عملية سياسية شاملة، وعلى طرفي الصراع الاستجابة لها، أو تحمل التداعيات السلبية للرفض، وسوف تكون وخيمة على الطرف الرافض.

وأضاف أن إيغاد مصممة على تطبيق خارطتها التي تتم بالتنسيق مع منبر جدة وجهات إقليمية ودولية، وهي تعلم أن قوتها مستمدة من انتمائها للاتحاد الأفريقي.

وأكد عادل سيد أحمد لـ"العرب" أن استخدام الفصل السابع لن يغيب عن مجلس الأمن إذا أخفقت إيغاد في فرض خارطتها السياسية، المدعومة من قوى عديدة، ولا يزال هناك تعويل كبير على قدرة الهيئة على تحقيق اختراق كبير في مفاصل الأزمة، كفرصة أخيرة لحل الصراع ضمن حاضنة أفريقية، لأن أيّ خيار آخر سيكون وخيما.

تفكير أوروبا في التخلي عن الغاز يربك الجزائر

الجزائر - شكل قرار مجموعة الاتحاد الأوروبي الخروج من دائرة استهلاك الغاز العام 2050، في إطار ما بات يعرف بالحياد الكربوني، جرس إنذار مبكرا للجزائر من أجل البحث عن بدائل أخرى، على اعتبار أنه يشكل أحد مصادر دخلها القومي، فضلا عن مصير استثمارات ضخمة في هذا الشأن، كالخط الرابط بين أفريقيا وأوروبا مرورا عبر دولة النيجر ثم الجزائر.

وأثار الوزير الجزائري السابق للطاقة (1989 – 1991) والمدير العام السابق لشركة سوناطراك صادق بوسنة ملف الحياد الكربوني بإسهاب في ندوة نظمها نادي الطاقة الجزائري، خاصة في ظل تفاقم المخاطر البيئية في العالم، والتوجه نحو الاستغناء عن الطاقات التقليدية، التي تشكل المصدر الأساسي لعائدات البلاد، بما في ذلك الغاز الذي احتل مكانة إستراتيجية في السنوات الأخيرة بسبب الأزمة الأوكرانية.

ووفقا للخبير الجزائري فإنه "ينبغي مناقشة هذه القضية في مؤتمر الأطراف الثامن والعشرين الذي يعقد في دبي، تحت ضغط من وكالة الطاقة الدولية والأوروبيين وبعض المنظمات غير الحكومية".

وكانت وكالة الطاقة الدولية قد غيرت مقاربتها تحت ضغط الطوارئ المناخية من عصر الغاز الطبيعي إلى الحياد الكربوني، ودعت إلى "الوقف السريع لاستعمال هذه الطاقة، من أجل تحقيق أهداف الحياد الكربوني بحلول 2050"، وتتوقّع في هذا الشأن انخفاضا حادا للغاية في استهلاك الغاز من 4000 جرام مكعب في اليوم إلى 920 جراما مكعبا في عام 2050، كما تخطط أوروبا لخفض استهلاكها بنسبة 70 في المئة بحلول الموعد النهائي نفسه.

ويشكل هذا التوجه إنذارا مبكرا للجزائر التي تعتمد على الطاقة في تحقيق عائدات العملة الصعبة، كما أنها كثفت إنتاجها واستغلالها في السنوات الأخيرة تحت ضغط الطلب الأوروبي الذي يريد تغطية النقص الروسي، لكن دخول الحياد الكربوني حيز التنفيذ بعد أقل من ثلاثة عقود يجعل الإدارة المختصة في موقع حرج، لاسيما بالنسبة إلى الاستثمارات والعقود المبرمة.

> التوجه نحو الحياد الكربوني يوجه إنذارا مبكرا للجزائر التي تعتمد على الطاقة في تحقيق عائدات العملة الصعبة

ومع ذلك، يتساءل الخبير صادق بوسنة عما إذا كانت أوروبا قادرة على الاستغناء عن الغاز، في حين أن الولايات المتحدة والصين ليستا على نفس الوتيرة، كما أنه في البلدان الناشئة لا يوجد ما يشير إلى أنها تعتزم استبعاد الغاز الطبيعي من أجل تحولها البيئي.

ويرى أنه "حتى لو كانت قدرة الصمود، أكثر هشاشة من قدرة النفط، فإن حظر الغاز في مثل هذا الإطار الزمني القصير ليس واضحا على الإطلاق، وأن المشكلة في الواقع أكثر تعقيدا مما تبدو عليه".

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينارات – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

مفاوضات متواصلة بين الحكومة المغربية ونقابات التعليم لوقف الاحتقان في القطاع

إصرار نقابي على الزيادة في رواتب المدرسين دفعة واحدة

تجري الحكومة المغربية مفاوضات حثيثة مع نقابات التعليم لوقف حالة الاحتقان والإضرابات المستمرة في القطاع منذ أسابيع، وسط انتظارات المراقبين لتوصل اللجنة الوزارية المشتركة والنقابات التعليمية إلى اتفاق حول تسوية مختلف النقاط العالقة.

الأساتذة متمسكون بتحقيق مطالبهم

محمد ماموني العلوي

الرباط - رغم دعوة تنسيقيات التعليم إلى خوض إضراب وطني بين 13 و16 ديسمبر الجاري، يستمر الحوار بين الحكومة والنقابات يومي السبت والأحد لوضع حد للإضرابات والاحتجاجات المستمرة في القطاع، حيث أوضحت النقابة الوطنية للتعليم، المنضوية تحت لواء الكونفدرالية الديمقراطية للشغل، أن "الوزير المكلف بالميزانية فوزي لقجع أكد في آخر جولة له الجمعة أن تفعيل الاتفاقات ذات الكلفة المالية ستجد أثرها في قانون مالية 2024، وهناك تقدم في حلحلة مختلف الملفات الفئوية العالقة، في أفق الحسم النهائي فيها".

وأكدت النقابة الوطنية للتعليم في المغرب، في بلاغ لها حول أهم خلاصات جولة الحوار التي أجريت في 8 ديسمبر الجاري، أنه تم التوافق على مبلغ الزيادة في الرواتب للمدرسين بما يرقى لانتظاراتهم، ولوضعهم الاعتباري داخل المجتمع، مشددة على أنها تصر على ضرورة الإجابة على كل الانتظارات، بما يعيد "للشغيلة التعليمية" (المدرسين) وضعها الاعتباري.

مصطفى بايتاس

النقاش مع النقابات التعليمية يسير بشكل مسؤول وجدي

ودام الاجتماع بين وزير الميزانية والنقابات زهاء ست ساعات الجمعة، ليستمر النقاش يومي السبت والأحد مع اللجنة الوزارية المشتركة، للحسم في اثني عشر ملفا عالقا، إضافة إلى مسألة الزيادة في الرواتب، حسبما قال الصادق الرغيوي الكاتب العام للنقابة الوطنية للتعليم التابعة للكونفدرالية الديمقراطية للشغل، الذي أكد على قناعة النقابات في الوصول إلى اتفاق في هذا الحوار.

من جهتها أبدت الحكومة استعدادها لإقرار زيادة عامة في رواتب المدرسين، حيث أكد مصطفى بايتاس الوزير المنتدب المكلف بالعلاقات مع البرلمان والناطق الرسمي باسم الحكومة أن "الهدف من هذه الاجتماعات كلها بالإضافة إلى تجميد النظام الأساسي لموظفي قطاع التربية الوطنية، يوجد هدف التقدم في مختلف النقاط المطروحة والتي تثير تخوفات وتساؤلات عند نساء ورجال التعليم".

وقالت مصادر مطلعة لـ"العرب" إن النقابات أصرت على زيادة بـ3000 درهم (295.89 دولار) دفعة واحدة في ما عبرت الحكومة عن إمكانية اعتماد زيادة على دفعات لمدة ثلاث سنوات، من سنة 2024 إلى سنة 2026، باعتماد زيادة في السنة الأولى ما بين 1000 و1500 درهم، وتليها دفعات أخرى في السنوات المتبقية إلى غاية 2026 والتي قد تصل في المجموع إلى 2500 درهم (246.82 دولار).

واستجابت الحكومة لمطلب النقابات التعليمية المتعلق بتجميد النظام الأساسي لموظفي قطاع التربية الوطنية، بقرار مكتوب يُرتقب أن تصدره وزارة التربية الوطنية والتعليم الأوّلي والرياضة، إلى حين مراجعة مقتضياته والذي تتم مناقشته في الاجتماعات الماراثونية بين الطرفين.

ويعول الطرفان على الزيادة في الأجر لتكون خطوة أولى ممهدة لعودة الأساتذة إلى المدارس واستئناف الدراسة التي توقفت لستة أسابيع متواصلة، ريثما يتم الانتهاء من تعديل النظام الأساسي قبل منتصف شهر يناير من السنة المقبلة، كما توجد تطمينات بأن الميزانية التي ستخصص لهذا الجانب ستخرج في قانون المالية 2024.

وأكد شكيب بنموسى وزير التربية الوطنية والتعليم الأولي والرياضة أن الطرفيْن اتفقا على إلغاء العقوبات في النظام الأساسي التي أثارت غضبا كبيرا وسط الأساتذة والعودة إلى اعتماد العقوبات الموجودة في قانون الوظيفة العمومية.

وارتباطا بالتصعيد ضد الحكومة جاء في بلاغ المجلس الوطني للتنسيقية الوطنية لأساتذة التعليم الثانوي التأهيلي فإن "وزارة التربية الوطنية والتعليم أخفت عجزها وتغييب مسؤوليتها الوطنية على ما يعرفه قطاع التعليم من تأزيم ممنهج وإصرار الحكومة على عقد حوارات مغشوشة وصورية تتجاوز نضالات المدرسين الميدانية دفاعا عن مطالبهم المشروعة، وعلى رأسها إلغاء النظام الأساسي الاستعبادي".

وطالب عبدالإله دحمان الكاتب العام للجامعة الوطنية لموظفي التعليم، (نقابة)، الحكومة بضرورة تقديم منهجية حوارية متعددة الأطراف وتستوعب الجميع، من أجل إيجاد حلول متوافق عليها يكون هدفها الأساسي إنصاف "الشغيلة التعليمية"، مشددا على تشبث نقابته بسحب النظام الأساسي الذي يعتبر العامل الأساسي في إثارة كل ردود الفعل الغاضبة والرافضة له، لما يكرسه من إجهاز على الحقوق والمكتسبات الخاصة بالمدرسين.

وفي الاتجاه نفسه أكدت النقابة الوطنية للتعليم أنها تصر على ضرورة الإجابة على كل الانتظارات، بما يعيد للأساتذة وضعهم الاعتباري.

وأكد الناطق الرسمي باسم الحكومة، في تصريحات صحفية، أن "النقاش مع النقابات التعليمية يسير بشكل مسؤول وجدّي وسوف نسرع الخطى من أجل التوصل إلى اتفاق سريع مع النقابات جميعها ونحقق الأهداف وما يتطلع له نساء ورجال التعليم".

وأشارت الجامعة الوطنية لموظفي التعليم أن يدها مفتوحة ولا تزايد بالإضراب، وليست نقابة تتهافت من أجل تسجيل مواقف الإضراب فقط، فهي نقابة مناضلة منحازة إلى المدرسين، لكنها في نفس الوقت تطالب بحوار حقيقي مسؤول ومتعدد الأطراف وفق مبادرة حكومية واضحة، وأن هيئة التدريس لها من اليقظة ومن الوعي ما يكفي لإعادة الاستقرار إلى منظومة التربية والتعليم، شريطة إنصافها والاستجابة لمطالبها على الأقل في حدودها المعقولة.

وكانت اللجنة الحكومية في المغرب قد اتفقت مع النقابات التعليمية الأربع، في الاجتماع التمهيدي الذي ترأسه رئيس الحكومة عزيز أخنوش، على أربع نقاط محورية؛ وهي تجميد النظام الأساسي في أفق مراجعته وتعديل مقتضياته بناء على التعديلات التي قدمتها النقابات، وتوقيف الاقتطاع من أجور الأساتذة المضربين عن العمل ابتداء من شهر ديسمبر، وتحسين دخل مختلف فئات نساء ورجال التعليم، ومواصلة الحوار بوتيرة اجتماعين في الأسبوع، على أساس إخراج نظام أساسي جديد قبل منتصف شهر يناير المقبل.

ويُرتقب أن تصل اللجنة الوزارية المشتركة والنقابات التعليمية إلى اتفاق حول تسوية مختلف النقاط التي يطالب الطرف النقابي بتعديلها في النظام الأساسي قبل نهاية شهر ديسمبر الجاري.

وزير الداخلية التونسي: الواقع الأمني متناغم مع مبادئ حقوق الإنسان

تونس - أكدت وزارة الداخلية التونسية وجود مغالطات حول انتهاك الوزارة لمنظومة حقوق الإنسان خاصة في مراكز الإيقاف، مؤكدة حرصها على دعم الجهود المبذولة لاحترام مبادئ حقوق الإنسان في البلاد.

يأتي ذلك في وقت تقول فيه أطراف حقوقية إن تونس تشهد تضييقا على الحريات وعلى النشاط السياسي وغياب لأبسط شروط المحاكمة العادلة في العديد من القضايا.

وتؤكد وزارة الداخلية أنها حريصة أيضا على توفير كافة ضمانات عدم الإفلات من العقاب إزاء ما يعرض من انتهاكات فردية وغير مسؤولة في هذا المجال.

وقال وزير الداخلية كمال الفقي إن "الوزارة باعتبارها تعمل على إنفاذ القانون وحسن تطبيقه حريصة على دعم الجهود المبذولة لتدعيم حقوق الإنسان في تونس".

جاء ذلك خلال فعاليات الندوة الختامية لاستعراض مجهودات وزارة الداخلية في مجال تدعيم حقوق الإنسان.

وأوضح الفقي أن "الانجازات التي حققتها الوزارة ليست إلا جزءا بسيطا من الواقع الأمني المتناغم في جوانب عديدة منه مع مبادئ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وأحكام الدستور وسائر المعاهدات الدولية والقوانين المنظمة لعمل قوات الأمن الداخلي ومجموعة المبادئ المتعلقة بمجال إنفاذ القانون".

وأكد كمال الفقي "حرص الوزارة على توفير كافة ضمانات عدم الإفلات من العقاب إزاء ما يعرض من انتهاكات فردية وغير مسؤولة"، مشيرا إلى أن "هذه الندوة مناسبة لدعوة كافة منتسبي الوزارة إلى الحرص على توخي السلوك الحضاري والقيمي والأخلاقي في سائر ما له اتصال بعملهم الأمني".

وبين أن الوزارة "أصدرت في 17 مارس الماضي مدونة سلوك قوات الأمن الداخلي التي تتضمن في جانب منها مبادئ وقيم العمل الأمني كترسيخ سيادة القانون وعلوية حق الحياة، واحترام الحقوق والحريات العامة والفردية، واحترام كرامة الذات البشرية والرصانة وضبط النفس والحياد وعدم التمييز والتناسب، والتدرج في استعمال الوسائل الأقل ضررا في صورة اللجوء إلى استعمال القوة".

ولفت إلى أن الوزارة تعتمد آليات أخرى عديدة أبرزها الحق في النفاذ إلى المعلومة وحماية حقوق المهاجرين وضحايا الاستغلال والاتجار بالبشر والأشخاص، وإدماج مقاربة النوع الاجتماعي وتحقيق المساواة بين الجنسين ودعم مبادئ الشفافية والمساءلة، فضلا عن مكافحة العنف ضد المرأة والطفل، إضافة إلى تطعيم التكوين الأمني في كافة المستويات في مجال حقوق الإنسان .

كما أكدت الوزارة على وجود تناغم بين ممارسات الواقع الأمني ومبادئ حقوق الإنسان في البلاد.

كمال الفقي

الوزارة تحرص على توفير ضمانات عدم الإفلات من العقاب

من جهته، نفى المتحدث باسم الوزارة فاكر بوزغاية ما وصفها بالمغالطات حول انتهاك الوزارة لمنظومة حقوق الإنسان خاصة في مراكز الإيقاف.

وقال في تصريح لإذاعة محلية إن "الوزارة تعمل على احترام مبادئ حقوق الإنسان بكافة تفاصيلها" داعيا المنظمات التي اعتبرها تروّج لصورة مغالطة للواقع أن تزور مراكز الإيقاف وأن تقف على مجهود الوزارة في توفير الظروف الإنسانية الملائمة .

وأضاف أن "هياكل الوزارة دعمت حقوق الإنسان من خلال الانخراط في منظومة مناهضة العنف ضد المرأة واحترام مقاربة النوع الاجتماعي وتعميم تجربة مكاتب العلاقة مع المواطن، بالإضافة إلى تأمين فضاء آمن للمواطن من خلال تكثيف الحملات الأمنية والتصدي للانتصاب الفوضوي".

الوزارة تؤكد حرصها على التصدي للانتهاكات

باتيلي وبيرنت يحثان الأطراف الليبية على الانخراط في حوار ممهد للانتخابات

طرابلس - حث المبعوث الأممي لدى ليبيا عبدالله باتيلي في لقاء مع القائم بأعمال السفارة الأميركية جيريمي بيرنت الأطراف الخمسة الرئيسية في ليبيا على استكمال تسمية ممثليهم والانخراط في حوار بناء يضع ليبيا بثبات على طريق الانتخابات.

وقالت البعثة الأممية في بيان لها السبت إن اللقاء استعرض التطورات السياسية في ليبيا والوضع الراهن بما في ذلك جهود بعثة الأمم المتحدة لعقد اجتماع يضم الأطراف الخمسة الرئيسية مع إشراك باقي الأطراف ذات الصلة بخصوص السير نحو الانتخابات.

واجتمع باتيلي كذلك مع سفيرة كندا لدى ليبيا إيزابيل سافارد وناقش معها آخر المستجدات على الساحة السياسية في ليبيا.

وقال المبعوث الأممي "جدّدنا دعوتنا للجهات الفاعلة الرئيسية إلى الالتزام بالحوار بحسن نية لحل القضايا العالقة المتعلقة بإجراء الانتخابات".

وقال بيرنت في تغريدة بشبكة التواصل إكس "في اجتماعي اليوم مع الممثل الخاص للأمين العام للأمم المتحدة أعربت عن دعم الولايات المتحدة القوي لجهوده في جمع الأطراف المؤسسية في ليبيا لحل القضايا السياسية التي تقف في طريق الانتخابات".

وأضاف برنت "نحث جميع الأطراف الفاعلة على تسمية ممثليها في أسرع وقت ممكن للمشاركة في المحادثات التحضيرية لبعثة الأمم المتحدة للدعم في ليبيا والدخول في حوار بناء لوضع ليبيا على طريق الاستقرار على المدى الطويل".

والأسبوع الماضي، واصل باتيلي الحشد لمبادرته التي لم تحرز أيّ تقدم يتجاوز الخلاف بشأنها، خاصة مع رفض مجلس النواب حضور الاجتماع الخماسي الذي دعا إليه باتيلي، بسبب إصرار البرلمان على مشاركة رئيس الحكومة المشكلة من قبله برئاسة أسامة حماد.

وخلال مؤتمر الأطراف للمناخ (كوب 28) في دبي، دعا رئيس المجلس الرئاسي محمد المنفي قادة العالم إلى دعم المبادرة وإنهاء القضايا الخلافية العالقة حيال القوانين الانتخابية.

وستكون مهمة الاجتماع التحضيري تحديد مكان وموعد وجدول أعمال اجتماع قادة المؤسسات الرئيسية الخمسة الذي يتطلع إليه باتيلي.

وفي وقت سابق، أعلن مجلس النواب وحكومة أسامة حماد رفضهما المبادرة، متحفظين على تجاهل المبعوث الأممي دعوة الحكومة المكلفة من المجلس، ودعوته رئيس حكومة الوحدة الوطنية المنتهية ولايتها عبدالحميد الدبيبة، وإصرار البعثة على مراجعة القوانين الانتخابية.

اختفاء الكرتونة السياسية لا يمنع المصريين من المشاركة في الانتخابات

تحجيم المساعدات المادية للأحزاب لتجنب اتهامها بتوجيه الناخبين سياسيا

تحسين ظروف العيش هو كل ما يهم المصريين

المصريون تعودوا في الانتخابات الماضية على ظاهرة الكرتونات التي تهدف لاستقطاب الأصوات لصالح هذه الجهة أو تلك، لكن هذه المرة اختفت الظاهرة بأوامر من الرئيس المنتهية ولايته عبدالفتاح السيسي المتأكد من الفوز.

أحمد حافظ

القاهرة - استوعبت الحكومة المصرية دروس الانتخابات السابقة وتحركت بشكل غير مباشر لتحجيم مظاهر توجيه الفقراء نحو النزول إلى لجان الاقتراع من خلال إغرائهم بمساعدات مالية، وهو ما يفسر الاختفاء الواضح لـ"الكرتونة الغذائية" التي كان يتم توزيعها على البسطاء قبل ومع كل انتخابات برلمانية أو رئاسية.

وفسّرت دوائر سياسية تراجع مظاهر توزيع الكراتين الغذائية على الفقراء قبل الانتخابات الرئاسية، التي تبدأ اليوم الأحد ولمدة ثلاثة أيام في الداخل، بأن الحكومة ترفض الإيحاء بأن مساعدات البسطاء مرتبطة بتوقيتات سياسية وأن الأحزاب القريبة تشتري أصوات الناخبين بمنح غذائية.

واعتاد البعض من البسطاء الحصول على كراتين تحتوي مواد غذائية أساسية في موسم الانتخابات من جهات وشخصيات وأحزاب لها علاقة بالحكومة، للحفاظ على مصالحهم مع السلطة، أو كنوع من التملق السياسي لها، لكن هذه المشاهد تراجعت وربما اختفت، كأن هناك تعليمات صدرت بالكف عن هذا السلوك المشين.

وأعلنت الحملة الرسمية للمرشح الرئاسي عبدالفتاح السيسي بأنه طالب الأحزاب بالحد من الدعاية له، وتوجيه الأموال للمساعدات التي يتم تخصيصها لسكان قطاع غزة، وترشيد الإنفاق على الدعاية بكل أشكالها، والتعامل بتوازن بين كل المرشحين.

وترفض شريحة من المصريين أن تكون نظرة الحكومة أو الأحزاب المتناغمة معها للبسطاء مختزلة في كرتونة غذائية يتم توزيعها عليهم في أوقات الانتخابات أو غيرها، لأنه تصور يسيء للناس ويمتهن كرامتهم، ويقدم صورة سلبية عن المجتمع المصري، وتذكرهم برشاوى جماعة الإخوان الانتخابية في أوج ازدهارهم السياسي.

وقال إكرام بدرالدين أستاذ العلوم السياسية في جامعة القاهرة إن مشاهد الكراتين الغذائية التي كانت توزع بالتزامن مع الانتخابات أثّرت على صورتها، مع أن النظام المصري ليس في حاجة إليها، والفقراء أكثر حرصا على المشاركة في العملية الانتخابية لإدراكهم أن الاستقرار أولوية قصوى.

وأضاف لـ"العرب" أن النظام بريء من توجيه الأحزاب أو أيّ جهة بتوزيع مساعدات مرتبطة بالانتخابات كنوع من إغراء الناس، فالسيسي نفسه على مدار سنوات حكمه وضع الفقراء في صدارة اهتماماته، وظهر ذلك في برامج الحماية الاجتماعية، وفي كل مناسبة يؤكد رفض المتاجرة السياسية بمعاناة الناس أو أن تستثمر بعض التيارات هموم الفقراء لجعلهم بؤرة توتر.

ولا يخلو اقتصار الدعاية الحزبية على إقامة فعاليات ودفع الناس للمشاركة بعيدا عن توزيع المساعدات الغذائية من وجود تكليفات مشددة من دوائر في السلطة بعدم الإساءة للنظام باستغلال الانتخابات الرئاسية لتجييش الفقراء بإغراءات مالية وعينية يتم تصويرها داخليا وخارجيا على أن الرئيس نجح برشاوى انتخابية.

> **الكثير من الأسر يتعامل بمنطق أن النزول في الانتخابات والتصويت للسيسي يضمن لها استمرار الدعم المادي**

وتشير تقديرات سياسية إلى أن السيسي يخوض المنافسة وسيكسبها بتفوق، لذلك يرفض أن يحسب عليه قيام أيّ حزب أو تيار بدفع البسطاء نحو المشاركة والتصويت له بطرق غير مشروعة سوف يتحمل نتائجها النظام وحده، كما أن هناك اعتقاد أن الكرتونة الغذائية أمام اللجان ستكون معبرة عن أن الدولة غائبة طوال العام عن دعم الفقراء ثم تظهر فجأة وقت الانتخابات.

ويُدرك السيسي أنه خسر جزءا من شعبيته بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية، لكنه على يقين أنه لا يزال الخيار الوحيد المقبول لدى شريحة كبيرة من المواطنين مهما بلغت معاناتهم المعيشية على وقع التحديات الأمنية، ولأنه يظل يتعامل مع البسطاء بخصوصية شديدة ويعتبر التقارب معهم أولوية لاستمرار دعمهم.

واستطاعت الحكومة المصرية أن تحمي طبقة من الفقراء وتمكنت من الوصول إلى قطاعات انتظرت دعمها في مواجهة موجات الغلاء المتلاحقة، وقدمت حوافز عديدة للتعامل مع مشكلات التسرب من التعليم وغياب غطاء صحي لشريحة من المواطنين.

وارتفع عدد البسطاء المستفيدين من الدعم خلال فترة حكم السيسي إلى قرابة 64 مليون مواطن من خلال 23 مليون بطاقة لأرباب الأسر والفئات المعيلة وفق ظروفهم المعيشية، وهذا رقم ضخم إذا قورن بالظروف الاقتصادية التي تعيشها الدولة، وتقدم الحكومة دعما نقديا موازيا إلى 4.6 مليون أسرة يمثلون 20 مليون مواطن ضمن برنامج "تكافل وكرامة".

وترفض هذه الملايين من المواطنين خسارة المساعدات التي يحصلون عليها من الدولة، وبينهم الكثير من الأسر تتعامل بمنطق أن النزول في الانتخابات والتصويت لصالح السيسي يضمن لها استمرار الدعم المادي والغذائي، وبالتالي سواء تحصلوا على كراتين أم لا يتعاملون مع مشاركتهم في الاستحقاق الانتخابي وفي جانب منه كنوع من رد الجميل إلى رأس النظام بعيدا عن المتاجرة السياسية بهم.

وتقتنع بعض دوائر السلطة أن استمرار مشاهد توزيع المساعدات بالتزامن مع الانتخابات الرئاسية يورط النظام في تهمة تقليد جماعة الإخوان والسلفيين وبعض الأحزاب السياسية التي لها رصيد من الوصول إلى الناس بالرشاوى الغذائية لاستقطابهم إلى صفوفها، وهي اتهامات تسيء للدولة والسيسي وتشوه صورة الانتخابات وتجلب على الحكومة انتقادات حادة هي في غنى عنها.

كما أن استمرار المساعدات المرتبطة بالانتخابات يجعل الحكومة متهمة بتناقض دورها سياسيا واقتصاديا، فهي لا تكف عن اتخاذ إجراءات قاسية وتظهر في صورة الداعم والمساند ضد الغلاء، مع أنها السبب في ما آلت إليه أوضاع المواطنين من صعوبة بالغة للحصول على الغذاء، وبالتالي فالخيار الأنسب أن تترك للبسطاء حرية التحرك بالمشاركة من عدمها من دون ضغوطات أو شبهات رشاوى.

وأكد إكرام بدر الدين لـ"العرب" أن الرئيس السيسي يرفض أن يأتي نجاحه في الانتخابات بطريقة غير نزيهة، ويدرك أن التحديات الراهنة تفرض على الكثير من المصريين النزول بكثافة لتوصيل رسائل إلى الجميع بأن النظام محاط بشعبية في مواجهة ما يحاك ضد بلادهم من مؤامرات، وهناك حالة شعبية شغوفة بالمشاركة بعيدا عن أيّ مظاهرة دعائية أو مكاسب مادية يمكن أن تحصل عليها.

ويصعب فصل هذه القناعات عن المخالفات التي تم رصدها من جهات ومنظمات حقوقية غربية خلال الانتخابات الرئاسية الماضية عام 2018، عندما تم فضح قيام بعض الأحزاب بتوزيع كراتين غذائية وأموال على الناخبين، وهي وقائع أساءت للعملية الانتخابية، وترى الحكومة أن القضاء على هذه الظاهرة يصب في صالحها سياسيا، باعتبارها نجحت في نسف ميراث بغيض عاصره المصريون سنوات كثيرة.

معارك كبيرة في غزة بعد الفيتو الأميركي في مجلس الأمن

غزة - واصلت إسرائيل حربها ضد حركة حماس في قطاع غزة السبت غداة استخدام الولايات المتحدة حق النقض (الفيتو) ضدّ مشروع قرار في مجلس الأمن الدولي يدعو إلى "وقف فوري لإطلاق النار لأسباب إنسانية"، في ظلّ وضع إنساني مروّع، وفقاً لمنظمات غير حكومية.

ولقيت الخطوة الأميركية إدانات أبرزها من تركيا والرئيس الفلسطيني محمود عباس وحركة حماس، في ما اعتبر وزير الخارجية الإسرائيلي إيلي كوهين أنّ وقف إطلاق النار "سيمنع انهيار منظمة حماس الإرهابية".

وقال الجيش السبت إنّ "العمليات في قطاع غزة مستمرّة"، مضيفاً أنّ "القوات البرية واصلت القتال في مواقع مختلفة".

من جهتها، أعلنت كتائب عزالدين القسام الجناح العسكري لحركة حماس أنها أطلقت السبت دفعات جديدة من الصواريخ على مناطق في جنوب إسرائيل.

واعلنت وزارة الصحة التابعة لحماس وصول 71 قتيلا إلى مستشفى شهداء الأقصى في دير البلح في أربع وعشرين ساعة، و62 قتيلا إلى مستشفى ناصر في خان يونس جنوب القطاع.

ووفق الأمم المتحدة، دُمّر أكثر من نصف المنازل أو تضرّر في الحرب على القطاع، حيث فرّ 1.9 مليون شخص من منازلهم، أو ما يشكّل 85 في المئة من السكان.

وقال محمود أبوريان النازح من بيت لاهيا (شمال) "الجو بارد جداً والخيمة صغيرة جداً. ليس لديّ سوى الملابس التي أرتديها. وما زلت لا أعرف ما هي الخطوة التالية".

في موازاة ذلك، تزايدت بشكل ملحوظ بعض الأمراض المعدية مثل الإسهال والتهابات الجهاز التنفسي الحادّة والالتهابات الجلدية، وسط الاكتظاظ وسوء الظروف الصحية في الملاجئ التابعة لوكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين (أونروا) في جنوب القطاع.

ووفقاً لمكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (أوتشا)، فإنّ 14 مستشفى فقط من أصل 36 مستشفى في قطاع غزة، كانت لا تزال تعمل بالإمكانات المتوافرة لديها الخميس.

> **الفيتو الأميركي لقي إدانات من تركيا وإيران، في ما اعتبرت إسرائيل أن وقف إطلاق النار سيمنع انهيار حماس**

وسارعت المنظمات الإنسانية إلى إدانة الفيتو الأميركي في مجلس الأمن الدولي الجمعة.

واعتبرت منظمة أطباء بلا حدود أنّ عدم تحرّك مجلس الأمن الدولي يجعله "شريكاً في المجزرة" في قطاع غزة.

وعبّر سكان أحد أحياء رفح حيث دمّرت غارة إسرائيلية عددا من المباني، عن غضبهم السبت بعد استخدام واشنطن حق النقض. وقال محمد الخطيب لفرانس برس "ما هو القرار الذي وافق عليه مجلس الأمن ونفذه من أجل قضيّتنا والشعب الفلسطيني؟".

وأدان الرئيس الفلسطيني في بيان الفيتو الأميركي محمّلاً الولايات المتحدة مسؤولية "ما يسيل من دماء" في القطاع.

كما أدان الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الفيتو الأميركي. وقال في الذكرى الخامسة والسبعين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان "منذ السابع من أكتوبر تحول مجلس الأمن الدولي إلى مجلس لحماية إسرائيل والدفاع عنها".

ومشروع القرار الجمعة هو الخامس الذي يرفضه المجلس منذ بداية الحرب، في ظل انقسامه إلى حد كبير منذ سنوات حول النزاع الإسرائيلي – الفلسطيني.

من جهتها، حذرت إيران السبت من وقوع "انفجار لا يمكن السيطرة عليه" في الشرق الأوسط، إذا واصلت الولايات المتحدة دعم إسرائيل في الحرب.

وصرّح الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش الجمعة بأنّ "كلّ هذا يحدث في سياق إنساني مروّع"، مشيراً إلى أنّ "الناس يائسون وخائفون وغاضبون".

واتجه جزء كبير من السكان الذين شرّدتهم الحرب، والبالغ عددهم 1.9 مليون نسمة، إلى جنوب القطاع، لتتحوّل رفح الحدودية مع مصر إلى مخيّم ضخم للاجئين.

ولا تزال محافظة رفح المنطقة الوحيدة في غزة التي يتم فيها توزيع مساعدات محدودة. وفي محافظة خان يونس توقف توزيع المساعدات في الأيام الأخيرة في ظل اشتداد الأعمال الحربية والقيود المفروضة على التنقل على طول الطرق الرئيسية، باستثناء عمليات إيصال الوقود المحدودة لمقدّمي الخدمات الرئيسيين.

وفي رفح، كان السكان يفتّشون بين الأنقاض بعد الضربات الجوية التي طالت حيّهم، لينقذوا ما يمكنهم إنقاذه، مثل البطانيّات.

أوستن يضغط على الحكومة العراقية لوقف الهجمات على القوات الأميركية

بغداد - حث وزير الدفاع الأميركي لويد أوستن رئيس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني على التحرك لحماية البعثات الدبلوماسية في العراق، والتصدي للميليشيات التي دأبت على تنفيذ هجمات ضد قواعد تتمركز فيها القوات الأميركية.

جاء ذلك في اتصال هاتفي أجراه أوستن مع السوداني، مساء الجمعة، وفق بيان لوزارة الدفاع الأميركية.

وفي المكالمة الهاتفية، شدد أوستن على ضرورة "حماية الموظفين الدبلوماسيين ومستشاري التحالف (الدولي لمحاربة داعش) ومنشآته".

وأدان أوستن "الهجوم الذي وقع الليلة قبل الماضية على السفارة الأميركية في بغداد وسلسلة الهجمات على القوات الأميركية في العراق وسوريا خلال الأسابيع الأخيرة"، وفق البيان.

وأوضح أن "الهجمات ضد القوات الأميركية يجب أن تتوقف".

والجمعة، أعلنت السفارة الأميركية في بغداد تعرض مقرها لهجوم بصاروخين دون وقوع إصابات، داعية الحكومة العراقية إلى "حماية البعثات الدبلوماسية"، وفق ما نقلته قناة الحرة الأميركية (حكومية).

وعقب وقت قصير من إعلان سفارة واشنطن، وجه رئيس مجلس الوزراء العراقي محمد شياع السوداني بملاحقة مستهدفي السفارة، مؤكدا "رفض بلاده أيّ مساس بالبعثات الدبلوماسية"، وفق بيان لمكتبه.

وتجد الحكومة العراقية نفسها في وضع حرج بين الرد أو عدمه على استهداف ميليشيات تدين بالولاء لإيران السفارة الأميركية في بغداد، بعد أن لامت القوات الأميركية على استهداف فصائل من تلك الميليشيات ردا على هجمات سابقة.

ويكمن الحرج في أن رئيس الحكومة العراقية لا يقدر على استهداف الميليشيات، التي كان يحتاج إلى دعمها للفوز بالسلطة قبل عام، والتي تشكل الآن كتلة قوية في ائتلافه الحاكم. كما أنه يحتاج إليها لضمان استمرار حكومته.

واكتفى السوداني بالقول إن مهاجمي البعثات الدبلوماسية "يقترفون إساءة إزاء العراق واستقراره وأمنه"، داعيا القوات الأمنية إلى "ملاحقة مرتكبي "الاعتداء".

وأضاف في بيان أن "استهداف البعثات الدبلوماسية أمر لا يمكن تبريره، ولا يمكن القبول به، تحت أي ظرف".

ولا يجد السوداني ما يقوله للأميركيين لتفسير تردد حكومته في التصدي للميليشيات، خاصة أن رئيس الحكومة العراقية سبق أن أقرّ لواشنطن برفضه استهداف الميليشيات بالقصف، ووصف وزير الدفاع الأميركي الهجوم على سفارة بلاده بأنه "عمل إرهابي يعرض الأمن الداخلي العراقي للخطر".

وأكد أن كتائب حزب الله وحركة النجباء، المدعومتان من إيران، "كلاهما منظمتان إرهابيتان مسؤولتان عن معظم الهجمات ضد أفراد التحالف".

ولفت إلى أن "الولايات المتحدة تحتفظ بالحق في الرد بشكل حاسم ضد تلك الجماعات للتصدي للتهديدات والهجمات ضد أفراد الولايات المتحدة وقوات التحالف".

وشدد أوستن على أن "الهجمات التي تشنها الميليشيات المدعومة من إيران تقوض سيادة العراق واستقراره، وتهدد سلامة المدنيين العراقيين، وتعيق حملة هزيمة داعش".

من جانبه، أكد رئيس الوزراء العراقي خلال الاتصال الهاتفي "التزام الحكومة بحماية البعثات الدبلوماسية والعاملين ضمن بعثة التحالف الدولي ومنشآته"، وفق بيان لمكتب السوداني.

وشدد على أنّ "الأجهزة الأمنية قادرة على ملاحقة وكشف المتورطين بهذه الاعتداءات، أياً كانوا"، دون الإشارة إلى جهات معينة.

وجرى خلال الاتصال الهاتفي "بحث علاقات التعاون الثنائي في المجالات الأمنية، وسبل تطويرها بين البلدين لمواجهة مختلف التحديات، والحد من الهجمات الأخيرة التي استهدفت مقرّ السفارة الأميركية"، وفق البيان العراقي.

وفي ما بدا أنه استجابة للضغوط الأميركية، كشف متحدث عسكري عراقي السبت أنّ "الأجهزة الأمنية المختصة توصلت إلى خيوط مهمة حول العناصر التي قامت بالاعتداء على مبنى السفارة الأميركية ومقر جهاز الأمن الوطني ومبان سكنية داخل المنطقة الخضراء الحكومية".

وقال اللواء يحيى رسول، الناطق باسم القائد العام للقوات المسلحة، في بيان صحفي إنه "تم تشكيل فريق عمل مشترك للتحقيق مع المسؤولين الأمنيين عن المنطقة التي حصل فيها الاعتداء".

وأوضح أنه تم في هذا الإطار "إحالة الضباط والمنتسبين، من القطعات الماسكة والمفارز المختصة ضمن هذا القاطع، إلى لجان تحقيقية مختصة لمحاسبة المقصرين منهم في ما تقرر تبديل الفوج الرئاسي بفوج من الفرقة الخاصة لمسك القاطع".

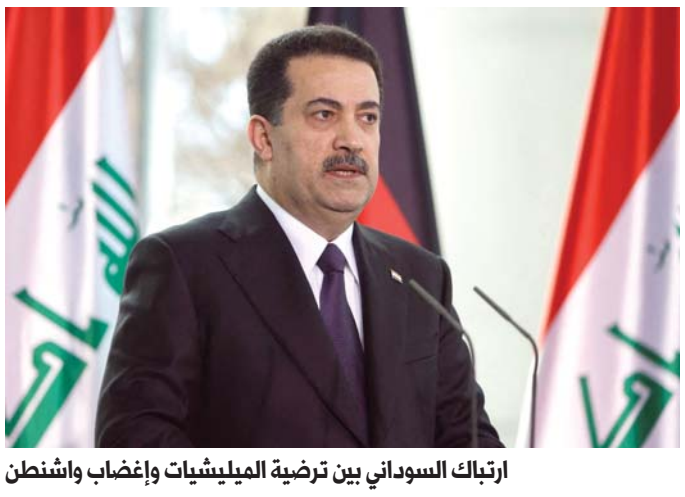

ارتباك السوداني بين ترضية الميليشيات وإغضاب واشنطن

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

مصريو غزة يثيرون جدلا في القاهرة بين حماس وإسرائيل

التدقيق في الهويات لأسباب أمنية بعد سفر متطرفين من سيناء إلى غزة

مصر تشعر بالحرج من حديث عن أنها لا تقبل بعودة المصريين المقيمين في غزة بصفة آلية كما فعلت دول أخرى، وأنها تنسق في تحديد القوائم مع إسرائيل. فالتعاطف مع قطاع غزة لا ينسي القاهرة الاعتبارات التي تخص أمنها القومي خاصة أن كثيرا ممن تبحث عنهم أمنيا فروا إلى غزة واستقروا تحت حماية حماس.

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

العبور يحتاج إلى تدقيق أمني

تداولت بعض مواقع التواصل الاجتماعي قصصا عديدة عقب اندلاع الحرب على غزة بشأن قيام الحكومة المصرية باتخاذ إجراءات صارمة مع مواطنين، رجالا ونساء، حاولوا العودة عبر معبر رفح، وروّجت مواقع إخوانية أن القاهرة رفضت عودة الكثير منهم، ويتراوح عددهم بين ثلاثين وأربعين ألف شخص يقيمون في القطاع منذ سنوات، عدد كبير منهم حصل على الجنسية المصرية نتيجة الزواج.

واكتفت الحكومة بالرد بما يؤكد اهتمامها بالمواطنين وعودتهم بسلام ودون تفرقة، لكن ظلت الشكوك في تعاملها لوضع ضغط آخر عليها، يُضاف إلى ضغوط مواجهة مخطط توطين سكان غزة بسيناء، في وقت لم تكن الظروف الأمنية والمضايقات الإسرائيلية كافية للاقتناع برؤية القاهرة، لأن هناك مواطنين من جنسيات مختلفة خرجوا من معبر رفح وظل الحديث عن المصريين يوحي أن ثمة رفضا رسميا متعمدا لعودتهم.

> **كيف تقوم القاهرة بالتنسيق مع إسرائيل وتثق في معلوماتها الأمنية، وتنسّق مع حركة جذورها إخوانية**

وانفجر الحديث على نطاق واسع عقب حلقة أذيعت أخيرا في برنامج الحكاية على قناة "إم بي سي – مصر" يقدمه الإعلامي المصري عمرو أديب (حصل على الجنسية السعودية مؤخرا) عندما استضاف الباحث المصري محمد حمزة الشهير بـ"سمير غطاس" وتحدث عن تنسيق بين مصر وإسرائيل لدخول أصحاب الجنسية المصرية.

وقال غطاس إن كل من يريد العودة يسلم جواز سفره لمكتب التمثيل المصري في رام الله الذي يقوم بإرسال بيانات الشخص للتأكد من أنه ينتمي/ تنتمي لحركة حماس أم لا، وتتوقف الموافقة بالسفر على طبيعة الرد الإسرائيلي، حيث يمنع دخول الأراضي المصرية على كل من ينتمون لحماس أو يتعاطفون معها، ويسمح لغيرهم.

وأدت هذه الإشارة إلى قيام وزارة الخارجية المصرية بإصدار نفي رسمي، والتأكيد أن الأجهزة المعنية وحدها تحدد من يدخل أم لا، وبعدها تصاعدت الانتقادات وصبت جزءا كبيرا منها على الإعلامي عمرو أديب أكثر من سمير غطاس، بما يوحي أنه أراد إحراج الدولة وتثبيت روايات الإخوان وتقليل الثقة في تصرفات القاهرة حيال التعامل مع الحرب في غزة وتلافي تداعياتها الأمنية والإنسانية.

وفتح الجدل الذي أثاره غطاس وأديب ملف العلاقات الأمنية بين مصر من ناحية وكل من إسرائيل وحماس من ناحية أخرى، وهو ملف حظي بالكثير من اللغط مع الجانبين مؤخرا، وربما المبالغة في التعاون معهما والتشديد على زاوية التناقض الخفية.

فكيف تقوم القاهرة بالتنسيق مع دولة تمارس عمليات إجرامية بحق الشعب الفلسطيني وتثق في معلوماتها الأمنية، وكيف تقوم بالتنسيق مع حركة تعود جذورها وأيديولوجيتها إلى جماعة الإخوان المصنفة إرهابية في مصر؟

اكتفت الإجابات الرسمية والإعلامية في مصر بالدفاع عن موقف الدولة، وتأكيد أن دخول مصريّي غزة يخضع لمعايير حددتها القاهرة، وتبرير التعاون مع حماس باعتبارات تفرضها مقتضيات الأمن القومي، حيث تسيطر الحركة على قطاع غزة المجاور لمصر، وتمت تصفية الكثير من الملفات العالقة الفترة الماضية وجرى التعاون في أوجه أمنية متباينة بما يضمن الهدوء.

واختلط الواقع بالخيال بشأن حديث التعاون الأمني مع إسرائيل، فقد صمتت المصادر المصرية على هذا الجانب بما يشي بعدم الرغبة في الحديث عن تفاصيله أو أن هناك مبالغة في تضخيمه ولا تريد الدخول فيها، بينما زادت السرديات حول التعاون على لسان مصادر عديدة في إسرائيل قبل الحرب على غزة، وهو ما تم ترويجه بعدها.

وقال مصدر مصري لـ"العرب" من الطبيعي أن يكون هناك تعاون أمني بين مصر وإسرائيل بحكم اتفاقية السلام الموقعة بينهما، وبانتشار الجيش المصري إلى أبعد نقطة في سيناء لمحاربة المتطرفين والإرهابيين تم بالتنسيق معها بحكم مقتضيات اتفاقية كامب ديفيد، وهذا لا يعني أن إسرائيل تريد الاستقرار لمصر، إذ يكفي ما تسرّب حول مخططها لتوطين سكان غزة في سيناء للإشارة إلى ما يمكن أن تسببه من تهديدات وتحديات للأمن القومي المصري.

وألمح المصدر إلى أن رحيل مصريّي غزة إلى بلدهم من الطبيعي أن يتم من خلال التدقيق في هوياتهم السياسية بطرق مختلفة، لوجود عناصر تنتمي للإخوان هربت بعد سقوط حكم الجماعة في مصر عام 2013 وربما تكون على قوائم الإرهاب، وكي لا تتهم القاهرة بأنها تحولت إلى ملاذ آمن لعناصر حماس في خضم الحرب.

وزادت التلميحات الإسرائيلية حول كميات الأسلحة والمعدات التي تمتلكها حماس، وظهرت إشارات بأن مصدرها مصر التي تمتلك الممر الوحيد مع غزة، ولم يسأل أصحاب التلميحات والإشارات من أين جاءت الأسلحة التي بحوزة فلسطينيي الضفة الغربية، خاصة في مخيم جنين الذي يتعرض لاقتحامات أمنية مستمرة من قبل إسرائيل؟ والإجابة الواضحة من إسرائيل نفسها.

ويعود البطء في دخول المصريين عبر معبر رفح إلى أسباب عدة، أبرزها التوترات الأمنية المستمرة على الجانب الفلسطيني من معبر فح، والتي أفضت إلى تكدس كبير منع خروج حاملي جنسيات غربية عديدة الفترة الماضية، وتعمد إسرائيل القيام بمضايقات هناك لتعزيز انطباعات بأنها لا تزال تتحكم في جنوب غزة، وما يحدثه ذلك من فوضى في عمليات تنظيم مرور البشر والشاحنات في آن واحد.

ولم يخل البطء المصري من رغبة عارمة في الكشف عن ميول العائدين من المواطنين، فبعد سقوط نظام الإخوان تحول قطاع غزة إلى ملاذ لبعض المتطرفين الذين استغلوا الانفلات في سيناء وكانوا يدخلون غزة ويخرجون منها بقدر عال من الأريحية.

وعندما تمكن الجيش المصري من ضبط الأمن وكسر شوكة الإرهابيين في سيناء تغير الحال، فمنهم من ألقي القبض عليهم وقتلوا، والبقية فروا إلى غزة، واستقروا وتزوجوا من فلسطينيات.

> **البطء في دخول المصريين عبر معبر رفح يعود إلى أسباب أبرزها التوترات الأمنية على الجانب الفلسطيني من المعبر**

وينكر إعلام الإخوان ونشطاؤهم على مواقع التواصل هذه الجزئية الغاطسة في أزمة دخول مصريّي غزة عبر معبر رفح، واتخذوا قمة جبل الثلج (فكرة المنع) مطية للنيل من الحكومة المصرية، ووجدوا في حديث سمير غطاس المشار إليه أداة لتعزيز روايتهم حول التعاون الأمني بين مصر وإسرائيل وتوظيفها بصورة سياسية بما يشير إلى "تواطؤ" على سكان غزة ومصرييها ضمن حملة ترمي إلى وضع الموقف المصري تحت ضغط، المستفيد الأول منه إسرائيل والإخوان.

وتكشف هذه النتيجة طبيعة التصعيد في غالبية الردود المصرية التي جاءت عن طريق إعلاميين قريبين من الحكومة على كلام سمير غطاس مع عمرو أديب، لأن مضمونها ينزع البعدين الوطني والقومي عن الخطاب المصري، ويثير شبهات حول الكثير من الخطوات الإيجابية التي اتخذتها الدولة مبكرا للتعامل مع حرب لا أحد يعلم المدى الذي يمكن أن تصل إليه في مخطط التوطين، وسط انتهاكات إسرائيلية جنونية في جنوب غزة قد تضطر مئات الآلاف من سكانها للفرار إلى سيناء.

ويبدو أن هذا السيناريو يقبله الإخوان خفية، وربما على العكس لا تجد الجماعة غضاضة في تسويقه بذريعة أن مصر ترفض عودة الآلاف من مواطنيها في غزة، وحرف التعاون الأمني مع إسرائيل عن بعده التكتيكي ووضعه في إطار إستراتيجي.

إسرائيل تخاطر باستبدال نصر تكتيكي بهزيمة إستراتيجية

القدس - "إسرائيل تخاطر باستبدال نصر تكتيكي بهزيمة إستراتيجية"، هذا أخطر تحذير وجهه أعلى مسؤول عسكري في الإدارة الأميركية ممثلا في وزير الدفاع لويد أوستن، لحكومة بنيامين نتنياهو.

الولايات المتحدة، التي تعتبر أقوى قوة عسكرية في العالم، لها تجارب قاسية في خوض حروب خاسرة بالرغم من حجم الدمار الهائل الذي أحدثته في فيتنام وأفغانستان والعراق، ولا يكاد حجم قتلاها يقارن مع الأعداد الضخمة من الضحايا في صفوف أعدائها، ومع ذلك خسرت حروبها الثلاث رغم "انتصارات عسكرية" حققتها على الأرض.

ولا يقاس النصر الإستراتيجي بعدد القتلى والجرحى والأسرى في صفوف الأعداء، ولكن بكسر إرادة العدو، إلى الدرجة التي ييأس فيها من تحقيق النصر.

وعادة ما يكون لأصحاب الأرض الكلمة الأخيرة في أي صراع مع الاحتلال الأجنبي، لأن التمسك بالأرض هو الخيار الأخير لأي شعب، والتخلي عنه يعني القبول بالإبادة والتهجير.

وهنا يكمن تعقيد الصراع الفلسطيني – الإسرائيلي لأن كلا الطرفين في مواجهة الشتات إن خسر أحدهما "معركة الإرادة"، وهو ما يفسر إصرار إسرائيل على تهجير سكان غزة وإبادتهم، وهو المصير الذي ينتظر سكان الضفة الغربية والقدس الشرقية في مرحلة تالية، مع الإبقاء على أقلية عربية مسلوبة الإرادة، يمكن تذويبها أو على الأقل احتواؤها، بالشكل الذي لا تشكل فيه تهديدا وجوديا على إسرائيل.

لكن القتل الواسع للمدنيين وخاصة الأطفال، وبسقف مفتوح، يؤثر بشكل عميق في تحول قطاع من الرأي العام العالمي من التعاطف مع إسرائيل، إلى التنديد بجرائمها.

ويظهر ذلك في تصاعد المظاهرات في مدن العالم ضد "المجازر الإسرائيلية"، وتزايد انتقادات المنظمات الأممية لقتل الأطفال والنساء والصحافيين بشكل غير مسبوق من حيث المعدل اليومي والشهري، حتى بالمقارنة مع الحرب العالمية الأولى والثانية، بل وحتى خلال الاحتلال الأميركي للعراق.

لا تخسر إسرائيل فقط معركة الرأي العام العالمي، ولكنها تخسر أيضا المعركة الأخلاقية، ورغم محاولتها بكل الطرق تشويه حركة حماس، إلا أن طريقة وداع الأسرى الإسرائيليين لعناصر الحركة بالكثير من الود، تهز من مصداقية الرواية الإسرائيلية.

وقسم احتفاظ حركة حماس بورقة الأسرى العسكريين، في إطار رؤيتها لنهاية الحرب "الكل مقابل الكل"، المجتمع الإسرائيلي بين مطالب بتحرير الأسرى ودفع الثمن بإطلاق سراح المعتقلين الفلسطينيين، وبين متشدد بضرورة استمرار الحرب والقصف حتى ولو أدى ذلك إلى مقتل الأسرى الإسرائيليين مثلما حصل مع الجندي ساعر باروخ (25 عاما) الذي قتل أثناء محاولة قوات خاصة إسرائيلية تحريره.

ومن شأن العجز عن تحرير المحتجزين لدى حماس أن يعمق الانقسام داخل المجتمع الإسرائيلي حتى بعد انتهاء الحرب، ما سيضعف إسرائيل أكثر، ويفقدها الهيبة والرهبة في محيطها الإقليمي، وبالتالي افتقادها لقوة الردع، وهو ما يمثل أخطر أنواع الهزيمة الإستراتيجية، لأنه سيجعلها تحت تهديد دائم وإمكانية تكرار سيناريو 7 أكتوبر 2023.

وأحد أكثر الدروس التي تعلمتها الولايات في تاريخها عن الحروب التي "تنتصر فيها تكتيكيا وتخسرها إستراتيجيا"، حرب فيتنام، والتي دخلتها في 1964 لقتال ثوار "الجبهة الوطنية لتحرير جنوب فيتنام الشيوعية"، المعروفة بـ"فيت كونغ" والمدعومين من جيش فيتنام الشمالي بقيادة هوشي منه، بهدف منع تمدد الشيوعية إلى الجزء الجنوبي من البلاد، والتي كانت مقسمة إلى شطرين.

وألقت الولايات المتحدة بثقلها في هذه الحرب، منتشية بانتصارها في الحرب العالمية الثانية ضد قوات المحور بقيادة النازيين الألمان، وأيضا منعها الشيوعيين في كوريا الشمالية المدعومين من الصين والاتحاد السوفييتي من السيطرة على كوريا الجنوبية.

ورغم أن أعداد الجنود الأميركيين في فيتنام كانت تتضاعف حتى بلغ إجمالي عدد الذين تم إرسالهم إلى الحرب منذ بدايتها في 1964 حتى نهايتها في 1973 نحو 2.7 مليون جندي، وفق موقع "ستريبز" الأميركي، إلا أن ذلك لم يجبر مقاتلي "فيت كونغ" على الاستسلام.

واستخدم الجيش الأميركي أسلحة محرمة دوليا وقاذفات ثقيلة وقنابل ذات دمار واسع، وتسببت الحرب في مقتل أكثر من مليون فيتنامي، مقارنة بنحو 58 ألف أميركي، بالإضافة إلى 304 آلاف جريح، وفق "ستريبز".

> **النصر الإستراتيجي لا يقاس بعدد القتلى والجرحى، ولكن بكسر إرادة العدو إلى درجة ييأس فيها من تحقيق النصر**

ورغم أن خسائر الفيتناميين كانت أكبر بكثير من خسائر الأميركيين بشريا وماديا، إلا أن الولايات المتحدة اضطرت لرمي المنشفة، والانسحاب من فيتنام بدل الاستمرار في حرب استنزاف بلا أفق للنصر، خاصة وأن الرأي العام الأميركي بدأ ينقلب على حكومته، مع تزايد أعداد القتلى والنعوش القادمة من فيتنام.

ورغم أن واشنطن حاولت تشكيل أكبر جيش فيتنامي عميل، ضم الكثير من السجناء والمجرمين المفرج عنهم في إطار "فتنمة الحرب"، إلا أن هذا الجيش الذي، فاق تعداده مليون مسلح، انهار مع انسحاب آخر جندي أميركي من البلاد.

ومن المفارقات أن أقوى قوة عسكرية في العالم مدعومة بتحالف دولي وآخر محلي (تحالف الشمال) واجهت قوة متواضعة التسليح (حركة طالبان) واستطاعت إسقاط دولتها الناشئة في كابول وقندهار في فترة وجيزة عام 2001، لكن بعد 20 عاما اضطر الجيش الأميركي إلى الانسحاب.

وتكرر نفس المشهد في سايغون الفيتنامية بكابول الأفغانية، رحل الجيش الأميركي تاركا المتعاونين معه معلقين على أطراف طائرة مروحية (فيتنام) أو طائرة نقل حربية (أفغانستان)، خوفا من انتقام الحكام الجدد.

وكما احتمى المقاتلون الشيوعيون في فيتنام الجنوبية بشبكات الأنفاق تحت الأرض من قنابل القاذفات الأميركية الثقيلة، لجأ مقاتلو طالبان إلى الكهوف والمغارات في الجبال.

والاستهداف العشوائي للمدنيين يقوي ثقة الحاضنة الشعبية بالمقاتلين ويوفر لهم الدعم اللوجيستي والبشري، وهذا الدرس الذي تعلمته واشنطن، ويرغب وزير الدفاع الأميركي لتبليغه للإسرائيليين.

القصف يفضي إلى نتائج عكسية

الإمارات والمغرب: شراكة أخوية متنامية

د. سالم الكتبي
كاتب إماراتي

تمثل زيارة الدولة التي قام بها مؤخراً إلى دولة الإمارات العاهل المغربي الملك محمد السادس محطة استثنائية في مسيرة العلاقات بين البلدين الشقيقين، حيث أجرى الملك محمد السادس محادثات مثمرة مع الشيخ محمد بن زايد آل نهيان رئيس الإمارات.

ووقّع قائدا البلدين إعلان "نحو شراكة مبتكرة ومتجددة وراسخة" بين المملكة المغربية ودولة الإمارات، بهدف تطوير مختلف مجالات التعاون الاقتصادية والتجارية والاستثمارية والانتقال بها إلى آفاق نوعية أرحب تلبي تطلعات قيادتي البلدين وآمال الشعبين الشقيقين في توثيق التعاون وتطوير العلاقات الثنائية والارتقاء بها نحو المزيد من التنمية والنماء.

الاتفاقيات ومذكرات التفاهم التي يوقعها البلدان خلال الزيارات المتبادلة تلعب دورا حيويا كقاطرة تفتح آفاقا جديدة للتعاون

وحققت هذه الزيارة المهمة العديد من النتائج المثمرة، ومنها توقيع اثنتي عشرة مذكرة تفاهم، تعد في مجملها خارطة طريق مهمة تمضي عليها مسارات التعاون بين البلدين في مختلف المجالات، وتتضمن هذه المذكرات إرساء شراكة استثمارية في مشروعات القطار فائق السرعة في المملكة المغربية، ومذكرة بشأن شراكة استثمارية في ملف المياه، وأخرى بشأن شراكة إنمائية، وثالثة بشأن شراكة استثمارية في قطاعي الزراعة والصيد البحري ورابعة بشأن تعاون استثماري في قطاع المطارات، وخامسة بشأن خط أنبوب الغاز بين المغرب ونيجيريا، وسادسة للتعاون الاستثماري في قطاع الموانئ، وسابعة بشأن التعاون المشترك في قطاع الأسواق المالية وسوق الرساميل، وثامنة بشأن إرساء شراكة استثمارية في مشروعات تخزين المعلومات.

وتوصف العلاقات الإماراتية ـ المغربية تقليدياً في الأدبيات السياسية بأنها علاقات أخوية تاريخية، وهذا الأساس القوي يوفر لها المناخ اللازم للتطور، المدعوم بقوة الروابط التي تجمع بين قيادتي البلدين، والذي تعكسه كلمات الترحيب وأجواء الاستقبال والحفاوة الرسمية التي قوبل بها العاهل المغربي في دولة الإمارات.

واستقبل الشيخ محمد بن زايد الملك محمد السادس في "قصر الوطن" مرحباً به "في بلده وبين أهله"، مؤكداً "متانة الأواصر الأخوية الراسخة بين دولة الإمارات والمملكة المغربية، التي تقوم على التفاهم والاحترام المتبادل والتعاون والتي وضع أسسها القوية الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان والملك الحسن الثاني"، ومؤكداً "نحن نحرص على مواصلة نهجهما وإرثهما في تعزيز هذه العلاقات والبناء عليها".

هناك إذن إرادة قوية مشتركة لتقوية العلاقات وتطويرها، ولذا فإن الاتفاقيات ومذكرات التفاهم التي يوقعها البلدان خلال الزيارات المتبادلة تلعب دوراً حيوياً كقاطرة تفتح آفاقا جديدة للتعاون وتحقيق الآمال خلال الفترة المقبلة، ولاسيما أن البلدين قد اتفقا خلال اجتماعات اللجنة المشتركة في أبريل الماضي على مضاعفة التبادل التجاري والاستثماري خلال السنوات السبع المقبلة.

ويمثل إعلان الشراكة أيضاً نقطة مضيئة في تاريخ العلاقات الإماراتية ـ المغربية، حيث تجسد مثل هذه الصيغ في العلاقات الدولية نوايا ومسارات بعيدة المدى تمثل إطار عمل إستراتيجي لكل المؤسسات والقطاعات في البلدين، كما تعكس رغبة قوية مشتركة في المضي قدماً للبناء على ما تحقق في مختلف مجالات التعاون الثنائي وقطاعاته، وتحقيق اختراقات إيجابية جديدة عبر شراكات مثمرة في مختلف مجالات التعاون التي تصب في مصلحة البلدين والشعبين الشقيقين، ولاسيما أن مذكرات التفاهم التي تم توقيعها تشتمل على شريحة عريضة من مجالات التعاون والقطاعات التنموية والاستثمار في قطاعات عديدة ذات أبعاد إستراتيجية حيوية من شأنها توسيع قاعدة التعاون وتوثيق الروابط.

وما يميز العلاقات القوية بين دولة الإمارات والمملكة المغربية أنها لا تقتصر على المجالات السياسية والاقتصادية والاستثمارية، بل تشمل منظومة كاملة من العلاقات التي تطال الجوانب الاجتماعية والثقافية والفكرية والإنسانية وغيرها. ورغم أهمية المصالح المشتركة كمرتكز لا غنى عنه في بنية العلاقات الدولية، فإن العلاقات بين دولة الإمارات والمملكة المغربية تتجاوز الأطر التقليدية، على أهميتها، وتقوم على الود والروابط الأخوية المتينة التي توفر لهذه العلاقات قدراً مميزاً من الخصوصية والتفرد، وتوفر لها المنعة والحصانة في مواجهة متغيرات السياسة وتقاطعات المصالح.

وانطلاقاً من الأساس القوي للعلاقات الإماراتية ـ المغربية، فإن التعاون مستمر ومتواصل ويزداد عمقاً ورسوخاً بفضل الرعاية التي تحظى بها من جانب الشيخ محمد بن زايد والملك محمد السادس حتى أصبحت العلاقات الثنائية بين البلدين نموذجاً مثالياً يحتذى به للتعاون بين الأشقاء على المستويين الرسمي والشعبي، فالمملكة المغربية شريك استثنائي في التنمية والاستقرار والتعاون والتنسيق والتشاور المستمر من أجل دعم العمل العربي والإسلامي المشترك، والحفاظ على الأمن والاستقرار، ونشر قيم التسامح والتعايش والوسطية، التي نتقاسمها سوياً، ونبذ العنف والتطرف والإرهاب وتحقيق الأمن والاستقرار للبشرية جمعاء.

ويضاف إلى ذلك تنامي حجم التبادلات التجارية والاقتصادية والاستثمارية بشكل قوي (الإمارات ثاني أكبر شريك تجاري عربي للمغرب خلال عام 2021، حيث بلغ حجم التجارة الخارجية غير النفطية بين البلدين 3.6 مليار درهم أي ما يقابل 991.2 مليون دولار أميركي خلال عام 2022 محققة نمواً بنسبة 16 في المئة مقارنة بعام 2021، وبنسبة نمو 67.3 في المئة مقارنة مع عام 2020)، وكون الإمارات تشغل المرتبة الأولى على صعيد الاستثمارات العربية والثاني عالمياً بقيمة استثمارات تبلغ أكثر من 50 مليار درهم بالمملكة المغربية.

والملاحظ أيضاً أن عدد مذكرات التفاهم التي تم توقيعها خلال الزيارة الأخيرة للملك محمد السادس إلى الإمارات تساوي تقريباً مجمل مذكرات التفاهم التي تم توقيعها بين البلدين في السنوات والعقود السابقة، والتي تمثل إطار عمل للجنة المشتركة التي تأسست في مايو 1985، وعقدت دورتها الأولى بأبوظبي في نوفمبر 1988 برئاسة وزيري خارجية البلدين، وانعقدت الدورة الثانية بالرباط في يونيو 2001، فضلاً عن أن تنوع مجالات التنوع وشمولها لتطال مختلف جوانب التعاون والعلاقات الثنائية مع التركيز على القطاعات ذات العائد الاقتصادي والتنموي، يعكس قيمة الشراكة بين البلدين وأهميتها المتصاعدة.

وتؤكد الشواهد أن العلاقات التاريخية الأخوية بين دولة الإمارات والمملكة المغربية تمر بأزهى فتراتها ومراحلها، ومهما استفضت في وصف هذه العلاقات فإن ما قاله الملك محمد السادس في وصف علاقات البلدين الشقيقين بأنها "علاقات ثنائية مثالية تعبّر خير تعبير عن الوفاء للعهد الذي كان يجمع الشيخ زايد والحسن الثاني، رحمهما الله"، يبقى خير تعبير عن حقيقة هذه العلاقات الأخوية المتينة.

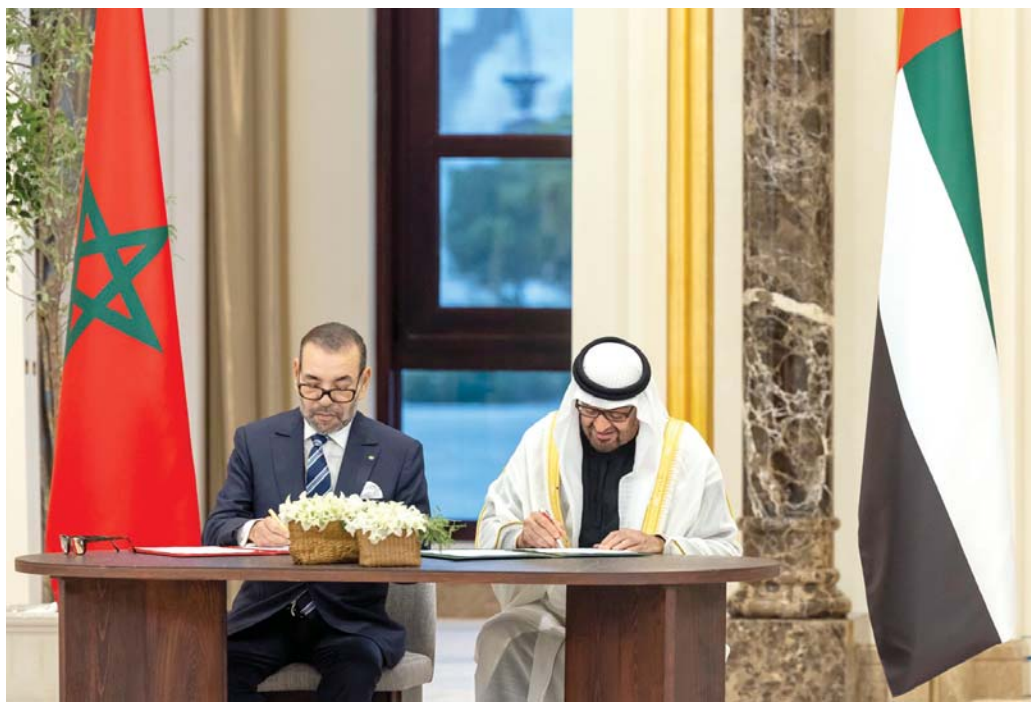

اتفاقيات كثيرة تعكس عمق العلاقات بين البلدين

علاقات متجذرة وراء استقبال ولد الغزواني في أبوظبي

الحبيب الأسود
كاتب تونسي

حفاوة الاستقبال وكرم الوفادة اللذان حظي بهما الرئيس الموريتاني محمد ولد الشيخ الغزواني في دولة الامارات قبل أيام، أكدا من جديد على عمق العلاقات بين البلدين، وعلى الروابط الأخوية الوطيدة بين دولة في أقصى الخليج وأخرى في أقصى المحيط، وكأنهما جارتان حميمتان لا تفصل بينهما حوالي عشرة آلاف كيلومتر هي المسافة بين نواكشوط وأبوظبي.

والعلاقات بين البلدين لها مرجعياتها التاريخية والثقافية والحضارية الراسخة، كما لها أبعادها الإستراتيجية في علاقة بالجغرافيا السياسية لغرب أفريقيا ومنظومة الساحل والصحراء ووعي القيادة الإماراتية بأهمية موريتانيا في تكريس الأمن القومي والإقليمي، والتصدي للإرهاب والتطرف، ونشر ثقافة السلام والتسامح والاعتدال.

ويشكل دعم موريتانيا ومدها بالعون والمساعدة في كل المجالات، من ضمن البنود الأساسية لرؤية رئيس الإمارات الشيخ محمد بن زايد آل نهيان في تحديد خارطة العلاقات الإقليمية والدولية، فموريتانيا كموقع جغرافي في أقصى جنوب غرب العالم العربي، وكبوابة أساسية على ضفاف الاطلسي لأفريقيا ما وراء الصحراء، تشكل أهمية إستراتيجية قصوى للأمن القومي العربي، وهو ما يمكن استنتاجه من خلال المساعدات الأمنية والعسكرية المهمة التي تقدمها أبوظبي لنواكشوط بما ساعد موريتانيا على المحافظة على استقرارها في ظل وضع متقلب بالساحل الأفريقي، وعلى أن تكون نموذجا للحياة السياسية والاجتماعية المتوازنة والبعيدة عن الصراعات العبثية.

وينظر الشيخ محمد بن زايد إلى موريتانيا كجسر للتواصل الحضاري بين العرب والأفارقة، ومركزا للإسلام المعتدل المتسامح سواء من خلال تجذره في الفقه المالكي المعتمد في أبوظبي ودبي والغالب في البحرين والكويت والمتميز بحضور مهم في المنطقة الشرقية السعودية إلى جانب المغرب العربي وغرب أفريقيا، أو من خلال المدارس الصوفية التي كانت دائما حصنا مهما لسماحة الدين ووحدة المجتمعات.

وتعتبر موريتانيا من دول المستقبل التي تمتلك مقومات النهضة الشاملة، لاسيما في ظل العمل على اكتشاف ثرواتها الطبيعية وإمكانياتها الواسعة في الطاقة والمعادن في البر والبحر، وفي وجود مؤشرات جادة عن قرب تحولها إلى قطب مهم للغاز، وللهيدروجين الأخضر.

وفي مناسبات عدة عبر الشيخ محمد بن زايد عن عمق الروابط بين البلدين، وأكد الحرص الدائم على تطويرها بشكل مستمر، حيث أشار إلى موقف الدولتين في العمل على محاربة الإرهاب والتطرف.

ويمكن تفسير التقدير العالي الذي يتعامل به الإماراتيون مع الموريتانيين بحالة النقاء التي وجدوها لديهم، وبما ورثه أبناء الشيخ زايد عن والدهم من الدقة في قراءة الملامح والسمات وفي فهم خصوصيات التجمعات البشرية وطبائعها.

دعم موريتانيا ومدها بالعون والمساعدة في كل المجالات من ضمن البنود الأساسية لرؤية الشيخ محمد بن زايد

وعندما يقول الشيخ محمد بن زايد إن "ما يجمع بلدينا تاريخ طويل من العلاقات الأخوية المتينة"، و"أمامنا اليوم فرص عديدة ومتنوعة لتعميق هذه العلاقات وتعزيز التعاون في مختلف المجالات والتشاور في قضايا المنطقة ومستجداتها"، فهو يؤكد على جملة من المعطيات الأساسية التي تميز صلات الود والأخوّة بين البلدين، ومنها : الارتياح والثقة المتبادلان بين القيادتين والشعبين منذ بداية سبعينات القرن الماضي.

وفي 28 أبريل 1974 أدى الرئيس المختار ولد داداه زيارة إلى أبوظبي سرعان ما رد عليها الشيخ زايد بزيارة هي الأولى من نوعها إلى نواكشوط في أغسطس من نفس العام، ليكتشف لأول مرة الثراء الثقافي والحضاري وعمق واتساع المعارف لدى الشناقطة، وليشهد من داخل خيمة الضيافة البدوية وجها آخر للعروبة التي طالما كان يعتز بها، وجسدها الشعراء والفنانون والكتاب والمثقفون والفقهاء المالكيون، وتم من خلالها فسح المجال واسعا للتعاون المشترك في كل المجالات وانتداب العديد من الكفاءات الموريتانية للعمل في دولة الامارات.

كان الشيخ زايد يمتاز بعاطفة خاصة نحو الموريتانيين، وكثيرا ما كان يصفهم بالنخوة والأصالة ورفعة الأخلاق، وشهد لهم بالتميز في العلوم الشرعية واللغوية، فقام بتولية العلماء والقضاة الموريتانيين في المناصب الشرعية العليا في دولة الإمارات، ليشكلوا جسرا ثقافيا وفكريا بين البلدين، لا يزال متواصلا إلى اليوم. ولعل خير مثال على ذلك حاليا، هو الشيخ العلامة الموريتاني عبدالله بية الذي تم تعيينه على رأس مجلس الإمارات للإفتاء الشرعي عند تشكيله في يونيو 2018 بهدف التنسيق لضبط الفتوى الشرعية و توحيد مرجعيتها وتنظيم شؤونها وآليات إصدارها في الدولة.

ومن يتابع آثار الأيادي البيضاء الإماراتية في موريتانيا سيعجز عن إحصاء ما رسّخته روح الإخاء بين البلدين منذ سبعينات القرن الماضي، وفي كافة المجالات تقريبا، من صحة وتعليم وأمن ودفاع وإسكان وبنى تحتية وتنمية وطاقة وصناعة وزراعة وأعمال خيرية وإنسانية وغيرها، وآخرها ما تم الإعلان عنه قبل أسابيع، والمتمثل في تلبية الامارات دعوة الرئيس ولد الشيخ الغزواني إلى مواصلة الجهود المبذولة لإنشاء جامعة للتخصصات العلمية في نواكشوط، وذلك بهدف رفد سوق العمل الموريتاني بالكفاءات الأكاديمية والتقنية والمهنية اللازمة، حيث سيتم بناء الجامعة بطاقة استيعابية تصل إلى 1500 طالب وطالبة مع إمكانية زيادة طاقتها الاستيعابية خلال الفترة القادمة.

وكان قد تم سابقا تدشين كلية الدفاع محمد بن زايد بنواكشوط التي تعتبر مهامها فريدة من نوعها في شبه المنطقة، وتتمثل في تكوين الضباط السامين من القوات المسلحة لدول الساحل وتحضيرهم لشغل وظائف قيادية عليا، وذلك بتنمية الروح المعنوية والكفاءة في استعمال مختلف الأسلحة والقدرة على تطبيق مبادئ القيادة والتسيير في المجال العملياتي سواء على المستوى الوطني أو متعدد الجنسيات.

وقد أعرب الرئيس ولد الشيخ الغزواني عن تقديره الكامل لأيادي الامارات البيضاء نحو بلاده، وقال "لقد نجح والدنا المغفور له الشيخ زايد بن سلطان وإخوانه شيوخ الإمارات وأبناؤه من بعده في مجابهة هذه الصحراء.. وبقوة الإرادة وشموخ العزيمة ورسوخ القناعة تحققت هذه المعجزة التي ستظل مصدر إلهام لشعوب المنطقة وشعوب العالم أجمع".

وجدد الحرص على تعزيز العلاقات في جميع المجالات مع الدولة، مؤكداً أن الشعب الموريتاني يعتبر الإمارات أول شريك إستراتيجي بكل ما يمثله ذلك من رغبة قوية في تعزيز فرص التعاون والارتقاء بالعلاقات الأخوية بين الجانبين.

ففي سبعينات القرن الماضي، سألت صحيفة فرنسية الرئيس المختار ولد داداه عن الزعيم الأقرب إلى نفسه، فأجاب دون تردد: الشيخ زايد، واليوم يتكرر الموقف، حيث تبدو الإمارات الأقرب إلى الموريتانيين، وهو ما ترجمته الحفاوة البالغة التي لقيها الرئيس ولد الغزواني في أبوظبي الاثنين الماضي.

حفاوة كبيرة

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

الأمن الغذائي في تونس: حلول مؤقتة لا تلغي البدائل

حكومات ما بعد 2011 تعاملت مع الأزمات بمنطق التسوية الآنية دون تفكير في المستقبل

أزمة الحبوب تحتاج إلى حلول

الحكومة التونسية تتحرك لحل الأزمات الخاصة بنقص المواد التموينية من خلال مراقبة الصفوف أمام المخابز وأخبار فقدان مواد مثل السكر والأرز والحليب، كأنما تريد إسكات الناس وترضيتهم مؤقتا بدلا من التفكير في حلول دائمة.

مختار الدبابي
كاتب وصحافي تونسي

لا يمكن أن تكون مهمة الحكومة التونسية هي مطاردة الأزمات. كل يوم زيارة ميدانية وتحرك ظرفي واجتماع عاجل لسد الفراغ، لأن هذا سيعني أنها ستجد نفسها تدور في حلقة مفرغة.

صحيح أن تحرك حكومة أحمد الحشاني مهم مع نقص المواد التموينية حتى يرى الناس أنها تقوم بدورها ولم تتخل عنهم، لكن الأهم أن تكف عن التعامل بمنطق الطوارئ، بالبحث عن مسالك لاستيراد البطاطا أو السكر أو القمح وغيرها وقت الطوارئ، أي أن تتحرك حين تشعر بالحرج وحين يتحدث الإعلام أو مواقع التواصل الاجتماعي عن الصفوف أمام المخابز، أو حين التندر بقصص البحث عن السكر والحليب والزيت والأرز.

من المهم أن تضع خططا وبرامج، وأن تفكر في البدائل على المديين المتوسط والبعيد، بشأن حل هذه الأزمات. الوعي بالبدائل جزء من مسؤوليات الحكومة وليس مسؤوليات غيرها بما في ذلك رئيس الجمهورية الذي تقف مهمته عند التنبيه والمراقبة والتوجيه.

لنأخذ مثلا قضية السكر. الوقت الحالي يتم الاستيراد بشكل شبه كامل سواء في شكل سكر جاهز للاستهلاك أو كميات خام في شكل سكر أسمر يقع تكريره ليكون أبيض ثم يتم تكييسه في وحدات صناعية.

وأزمة استيراد هذه المادة الحيوية مرتبطة بأزمة العملة الصعبة بالدرجة الأولى، حيث أن تونس لم تعد قادرة على المنافسة لتحصيل الكميات التي تريدها بشكل مسبق، وهناك دول أكثر قدرة على الإيفاء بالتزاماتها للموردين ستأخذ الأولوية وتحوز على كميات أكبر.

ولا شك أن هذا الوضع سيستمر إلى ما لا نهاية على هذا الإيقاع إلى حين التوصل إلى حل بشأن تأمين التمويلات الخارجية التي ترفع من مستوى الثقة في تونس لدى الموردين، وهو أمر يظهر بشكل أكثر وضوحا في توريد القمح.

والحل في قضية السكر يأخذ اتجاهين، الأول الاستمرار في التوريد بحسب الإمكانيات. أما الاتجاه الثاني وهو الأهم فيخص إعادة تشغيل مصنع السكر بمدينة باجة (شمال غرب) الذي كان يوفر لعقود جزءا من حاجة البلاد من هذه المادة.

ووقف الرئيس قيس سعيد على واقع هذا المصنع في زيارته الأخيرة إلى المدينة، واكتشافه حالة من الفوضى، ووعد بالعمل على أن تعود الشركة أحسن مما كانت وأنها مكسب وطني لن يتم التفويت فيه. وتظهر هذه الزيارة أهمية المبادرة لإنقاذ المؤسسة بشكل عاجل، والتي تعرف صعوبات وأزمات كثيرة من ترد للمعدات ولوضعيتها المالية وتراكم للديون وانقطاعات متكررة للإنتاج.

> تحرك حكومة أحمد الحشاني مهم مع نقص المواد التموينية لكن لا بد أن تضع خططا وبرامج وتفكر في البدائل المستقبلية

ولا يمكن أن تقتصر مهمة الحكومة التونسية على الاكتفاء بكشف الأوضاع الصعبة وتسجيل الخسائر ثم ينتهي الأمر عند التوصيف. أيا كانت ظروف الحكومة وإمكانياتها المالية ومشاكلها، فيجب أن تعطي أولوية لإعادة تشغيل هذا المصنع ودعم المزارعين الذي ينتجون اللفت السكري (البنجر).

ولعل المشكلة الأهم هي مشكلة الحبوب وتوفير الدقيق المخصص لصنع الخبز. الآن تعمل الحكومة ما في وسعها لتأمين تزويد مسترسل للسوق بهذه المادة، لكنه تزويد محدود وسرعان ما تطل ظاهرة الصفوف الطويلة أمام المخابز برأسها في المدن الكبرى، أحيانا لمجرد إشاعة، وأحايين أخرى لمحدودية الكميات التي تحصل عليها المخابز من الحكومة، وهي كميات لا تكفي لعودة إنتاج الخبز وتوزيعه ولتعود المخابز إلى سالف نشاطها. وهناك مخابز تفتح بشكل متقطع لأن الإمكانيات التي تحصل عليها لا تكفيها لشهر كامل.

صحيح هناك مضاربات وعراقيل إدارية وبيروقراطية ومحسوبية في التوزيع، لكنها عوامل ثانوية أمام حقيقة الصعوبات التي تواجهها الحكومة في تأمين حصص من الحبوب.

ومع تراجع إنتاج الحبوب بنسبة 60 في المئة هذا العام مقارنة بالعام السابق تحت وطأة الجفاف، تواجه الكثير من المخابز أزمة تزود بمادتي الدقيق والسميد الأساسيتين في إنتاج الخبز، وهي وضعية قد تزداد صعوبة، وتحتاج الحكومة إلى التحرك لبحث مشاكل كبار مزارعي القمح ودعمهم، وكذلك تشجيع صغار المزارعين على استعادة نشاطهم خاصة أن أسعار القمح باتت مرتفعة جدا ويمكن أن تمثل حلا لتحسين أوضاعهم.

ويعرف التونسيون أن الجفاف ضرب الزراعة بقوة، وأن الدولة تستورد الحبوب مع أن تونس بلد منتج وكانت توفر أكثر من نصف حاجياتها بسهولة. ويعرفون أنها باتت تضطر لتوريد الخضروات من دول قريبة مثل مصر. والأمر لا يمكن تفسيره فقط بالجفاف، وإنما لأن الدولة لم تستعدّ لذلك بشكل جيد خاصة في السنوات الأخيرة، حيث تعطلت حركة بناء السدود الكبرى والمتوسطة بعد ثورة 2011 وغرقت البلاد في معارك هامشية وأوقفت خططا حكومية سابقة لتجميع مياه الأمطار وتخزينها للشرب والسقي.

كما أن الدولة تعرض الأراضي التي تعود ملكيتها إليها للكراء بأسعار رمزية، ولا تسأل كيف يتم استثمار تلك الأراضي، وبأيّ طريقة، وهل أن من استأجرها مزارع حقيقي أم وسيط، وهل سيشرف عليها بنفسه أم سيكتريها لآخرين، وهي الأراضي التي يفترض أن تساهم بدور أساسي في حل أزمة الحبوب والخضروات وتتحكم من خلالها الدولة في الأسعار.

لم تكن أزمة الحبوب فقط بسبب الجفاف وتراجع المخزون المائي. هناك معضلة أكبر وأكثر تأثيرا، وهي نزوح سكان الأرياف إلى المدن وإهمال أراضيهم بسبب صعوبة العيش هناك في غياب شبه كامل لاهتمام الدولة بهم، حيث تراجع الدعم الذي كان يقدم لصغار المزارعين على محدوديته في السابق.

وتراجعت خدمات الصحة والنقل والمساعدات التي كانت الحكومات قبل 2011 تقدمها للفقراء ومحدودي الدخل، خاصة ما تعلق بتحسين الطرقات والمسالك الزراعية وكذلك انقطاع منح تحسين المساكن، والفشل في استكمال خطط شراكة بين تونس والاتحاد الأوروبي تقوم على توسيع شبكات الطرقات السريعة لتصل إلى المحافظات المهمشة لتسهيل إنشاء المصانع وعمل المستثمرين التونسيين والأجانب بهدف تشجيع السكان في مناطقهم والتوقف عن الهجرات باتجاه الشمال والساحل أو المغامرة بالهجرة غير النظامية نحو أوروبا.

لا يمكن إلقاء مسؤولية تعثر الزراعات الكبرى والزراعات في الأراضي الصغيرة فقط على الجفاف. تتحمل الدولة مسؤولية مباشرة في هذا التراجع كذلك من خلال غياب خطط جدية لمسألة التخزين، والكف عن التعامل مع الإنتاج بشكل ظرفي.

وهناك قضية أخرى مهمة يمكن أن يحل الاهتمام بها أزمة الحليب واللحوم والبيض والتحكم في الأسعار، وهي قضية الأعلاف.

الرئيس سعيد معه حق في أن اللوبيات تربك وتعيق، وأن الدولة مهما استوردت من أعلاف فإنها تضل طريقها إلى المستحقين، وخاصة من صغار مربي المواشي. لا يحتاج الأمر إلى وكالة متخصصة بالتوزيع، فقنوات وزارة الزراعة موجودة، لكن الشيء المفقود أن مكافحة لوبيات النفوذ والمحسوبية ما يزال متعثرا ولا يستجيب للتوجه السياسي.

يمكن للرئيس أن يلتفت للزراعة والمزارعين وأن يضع خططا تفصيلية تكون نابعة من أبناء القطاع وليس من الوسطاء أو الوكلاء الذين تجدهم في كل مكان. ويمكن للدولة أن تضخ أموالا لمساعدة المزارعين على تطوير طرق العمل، وكذلك اتخاذ إجراءات تحفيزية ضرورية، حتى يشعروا بأن الحكومة تقف إلى جانبهم، ما يدفعهم إلى الاستمرار في جهودهم لتحدي عدة عوامل من بينها الطرق التقليدية في العمل الزراعي، وغياب الدعم، وخاصة قضية الديون التي تؤرق صغار المزارعين، والتي تحتاج إلى وجود الدولة بجانبهم لتفاوض البنوك وتضغط وتعطي الامتيازات والوعود لحل هذا الإشكال، فضلا عن أزمة الجفاف.

بالمجمل، حكومات ما بعد ثورة 2011، وإلى الآن ما تزال تتعامل مع الأزمات بمنطق التسوية الآنية من دون تفكير في المستقبل، وحان الوقت لتكسر الدولة هذا النمط من التفكير .

الزراعة الأكثر تأثرا بالتغير المناخي

باريس - من القرن الأفريقي إلى الأرجنتين، تتسبب موجات الجفاف والحرارة في معاناة البشر والحيوان والنبات وتفاقم التغيّرات المناخية التهديدات التي تتعرض لها المحاصيل الزراعية في العالم، حتى في المناطق التي كانت تُعتبر معتدلة سابقًا.

فليس هناك أي قارّة بمنأى عن ذلك. وأدى الجفاف دورا في زوال حضارة بأكملها، عندما سرّع سقوط الإمبراطورية الحيثّية التي كان موقعها في هضبة الأناضول في القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وفق دراسة حديثة نشرتها مجلة "نايتشر" البريطانية.

وبات الجفاف راهناً يهدّد محاصيل دول زراعية كبرى مثل الأرجنتين التي شهدت تراجع محصولها من الذرة بأكثر من 30 في المئة خلال موسم حصاد 2022 – 2023.

والزراعة التي تمثّل 23 في المئة من انبعاثات غازات الدفيئة في العالم (جراء تربية الماشية واستخدام الأسمدة)، هي واحدة من أول ضحايا الاحترار المناخي.

ويؤدي الاحترار إلى زيادة عدد موجات الجفاف وإطالة مدّتها، على غرار الموجة القياسية التي تشهدها منذ نهاية عام 2020 منطقة القرن الأفريقي، حيث أدى ارتفاع درجات الحرارة إلى نفوق الملايين من رؤوس الماشية وأصبح 23 مليون شخص مهددين بالجوع، وفق الأمم المتحدة.

وفي المجمل، يعيش أكثر من ثلاثة مليارات شخص في بيئة "شديدة التأثر" بتغير المناخ.

ويؤدي هذا التغير أيضًا إلى زيادة حالات هطول الأمطار الغزيرة، مع ما يترتب على ذلك من عواقب مدمرة مثل تدمير المحاصيل، واستحالة البَذر أو الحصاد، وتفاقم تآكل التربة مع جرف الفيضانات لطبقاتها العليا الخصبة. ولوحظ حدوث هذه الظواهر في السنوات الأخيرة في باكستان وأستراليا.

وتُضاف إلى ذلك الظاهرتان المناخيتان "إل نينيو" و"إل نينيا"، المتكررتان لكن غير المنتظمتين، واللتان تزيدان من حدة الجفاف في إندونيسيا (أول منتج لزيت النخيل في العالم) وفي الأرجنتين (من أبرز الدول المصدّرة للذرة)، وتؤثران على الرياح الموسمية في الهند، الأساسية في الدولة الأكثر تعدادًا للسكان في العالم، وتفاقمان الأعاصير.

ويؤكد المدير العلمي لقسم البيئة في المعهد الفرنسي للبحوث الزراعية تييري كاكيه الذي يعمل على تكييف الزراعة مع التغيّر المناخي أنه "إذا كان هناك نقص في المياه في وقت الإنبات – أو نمو النبات – أو قبل الإزهار مباشرة، فسيكون لذلك تأثير كبير على إنتاج الحبوب".

ويضيف أن "ارتفاع درجة الحرارة، مع أو دون مياه، سيعزز ظاهرة توقف امتلاء الحبوب".

ويوضح أن من الناحية التخطيطية، سيكون للمياه تأثير على كمية السنابل وتاليا حجم المحصول، ولدرجة الحرارة تأثير على جودتها ومعدل امتلاء الحبوب.

ويؤدي نقص المياه أيضاً إلى نقص الأعلاف. فقد تخلى المزارعون الكاتالونيون عن زراعتها في أبريل الماضي في وقت كانت تعاني فيه إسبانيا من جفاف تاريخي.

ويقود جفاف نقاط تدفّق المياه ونقص العشب بشكل منتظم إلى القضاء على القطعان في منطقة الساحل والقرن الأفريقيين. وحتى في المناطق التي تتمتع بطقس معتدل، مثل تونس وفرنسا، ينخفض إنتاج سلالات الألبان بسبب درجات الحرارة المرتفعة.

ويشرح كاكيه أن "الحيوانات المجترّة، التي تسخن أمعاؤها أثناء التخمير، حساسة بشكل خاص"، مشيرًا إلى أن "ذروة الحرارة البالغة 40 درجة مئوية يمكن أن تقتل بقرة".

ويتمّ توفير 60 في المئة من الأغذية في العالم من خلال الزراعة البعلية، في ما يتمّ تأمين الباقي من الزراعة المروية.

ومع ظاهرة الاحترار المناخي، يزداد الطلب على الريّ وتحتاج المحاصيل إلى المزيد من المياه لأنها تفقد أكثر من خلال التبخر.

ويقدر فقدان المحصول الزراعي بسبب الجفاف بنسبة 25 في المئة بين عامي 1961 و2006، بحسب الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ (فبراير 2022).

وبحلول الفترة الممتدة من 2071 إلى 2100، إذا ارتفعت حرارة الكوكب بمقدار 1.5 إلى 2 درجة مئوية، فإن هذه الخسارة المرتبطة بالجفاف ستزيد بنسبة 9 إلى 12 في المئة للقمح وأكثر من 18 في المئة للأرز، مقارنة بفترة 1961 – 2016.

فالحلول موجودة وهي وقف الزحف العمراني والإدارة المحسّنة والمستدامة للغابات والحفاظ على النظم البيئية ذات القدرة العالية على تخزين الكربون مثل الأراضي الخثية وتطوير الزراعة الإيكولوجية.

> التغير المناخي يؤدي إلى تدمير المحاصيل، واستحالة البَذر، وتفاقم تآكل التربة مع جرف الفيضانات لطبقاتها الخصبة

لكن الهيئة الحكومية الدولية المعنية بتغير المناخ تحذر أيضًا من "سوء التكيف"، مؤكدة على سبيل المثال أن "الإفراط في استخراج" المياه بغرض تخزينها لري المناطق القاحلة، يمكن أن "يؤدي إلى استنزاف المياه الجوفية"، الأمر الذي ستكون له آثار ضارة على المدى المتوسط. وضمن الحلول، أعلنت قبل أيام مبادرة "الابتكار الزراعي للمناخ"، وهي مبادرة عالمية تقودها دولة الإمارات والولايات المتحدة تضاعف حجم الاستثمارات والشركاء والابتكارات في مجال النظم الغذائية والزراعة الذكية مناخياً، وذلك خلال مؤتمر الأطراف في اتفاقية الأمم المتحدة الإطارية بشأن تغير المناخ "كوب 28".

وأعلنت المبادرة زيادة الاستثمارات بنسبة تجاوزت الضعف من ثمانية مليارات دولار في المؤتمر السابق "كوب 27" إلى 17 مليار دولار في مؤتمر هذا العام ، وذلك بدعم من أكثر من 600 شريك حكومي وغير حكومي.

وتشمل هذه الاستثمارات ما يزيد على 12 مليار دولار من الشركاء الحكوميين في الكثير من الدول، وما يزيد على خمسة مليارات دولار من استثمارات القفزات الابتكارية.

وشهدت مبادرة "الابتكار الزراعي للمناخ" تحقيق 27 قفزة ابتكارية، وهي مبادرات يقودها ويمولها الشركاء ذاتياً لتحقيق نتائج سريعة في ابتكار النظم الزراعية والغذائية.

ويوجد حالياً ما مجموعه 78 قفزة ابتكارية، أي أكثر من ضعف ما تم الإعلان عنه في مؤتمر الأطراف العام الماضي تتماشى مع واحد أو أكثر من المجالات المحورية للقفزات الابتكارية.

يشار إلى أنه تم إطلاق "مهمة الابتكار الزراعي للمناخ" من قبل رئيس الولايات المتحدة خلال مؤتمر الأطراف "كوب 26"، وتؤمن المبادرة بأهمية وجود هذه المجموعة الواسعة من المشاركين والداعمين لها لتحقيق هدفها بالاستفادة من مختلف الخبرات والمعارف والثقافات.

اختلالات درجات الحرارة في نوفمبر 2023

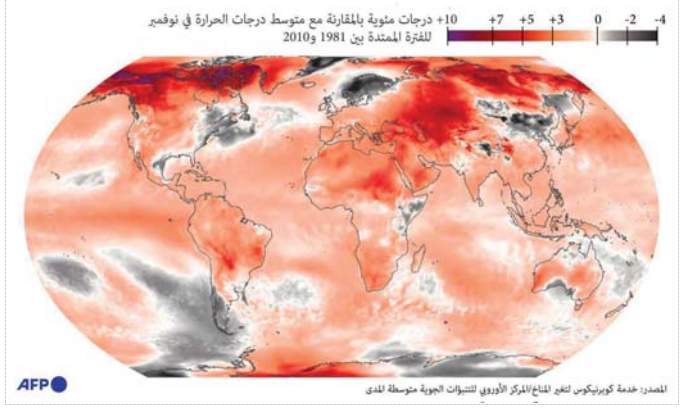

العلوية السياسية وليدة توظيف العصبية الطائفية في لعبة السلطة

الطائفية يصعب ولادة حالة مشابهة لها إقليميا ودوليا

دراسة سورية جديد تعمل على فهم ظاهرة العلوية، كيف نشأت وانتقلت من البعد الديني إلى البعد السياسي، ومدى تأثيرها على واقع السوريين، سابقا وحاليا.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

العلوية السياسية كانت وراء استمرار نظام حافظ الأسد

تشكل الطائفية جزءا محوريا من المشهد السياسي السوري، الأمر الذي تكشف جليا في أعقاب الاحتجاجات السلمية في عام 2011 حيث أخذت الاعتداءات الوحشية لقوات الأمن والجيش في المدن والبلدات المنتفضة طابعا طائفيا متزايدا مع مرور الوقت، كاشفة عن وجود مشكلة بنيوية في نظام الحكم، وهي مشكلة طائفية بالدرجة الأولى.

وتتبعت دراسة تحمل عنوان "العلوية السياسية في نظام الحكم السوري الجذور الفكرية والتطبيقات العلمية" للباحث السوري يوسف التليل العناصر المكونة للسردية السياسية للطائفة، التي تغذي ظاهرة العلوية السياسية فكريا وكشفت عن خصائص الظاهرة موضحة ماهيتها، وحاولت تفريقها عن نظام الحزب الواحد، والأنظمة الوراثية، والدكتاتورية العسكرية الخالصة، باعتبار النظام السياسي الذي ولد في ظلها يحمل بعض خصائص تلك الأنظمة.

واستعرضت الدراسة، التي نال بها الباحث السوري درجة الماجستير في قسم الاقتصاد السياسي الدولي بمعهد الدراسات العليا بجامعة كارابوك في تركيا، مراحل نشوء وتطور ظاهرة الطائفية منذ أن بدأت بذورها الأولى في مرحلة الانتداب، وهي مرحلة تسييس الطائفة ونقلها من طائفة دينية إلى طائفة سياسية، وصولا إلى المرحلة الأهم وهي التي بدأت بانقلاب اللجنة العسكرية عام 1963 والتي باشرت عملية تطييف الدولة بتطييف أهم أجهزتها الصلبة (الجيش والأمن). ثم تناولت مراحل تطور الظاهرة من البعثية إلى الأسدية، وصولا إلى عهد الرئيس الحالي بشار الأسد والانتفاضة الشعبية.

وتناولت الدراسة أيضا علاقة العلوية السياسية بمؤسسات الدولة الرسمية، من خلال البحث في وجود سلطة أمنية عسكرية مُعَلونة تخترق مؤسسات الدولة والمجتمع، وكذلك العلاقة بين السلطة الأمنية العسكرية ومؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية.

وتتوقف عند علاقة العلوية السياسية بالمجتمع من خلال الإضاءة على تدخل السلطة في التركيبة السكانية للمدن عبر حقن مجتمعات طائفية تهدف إلى إيجاد حواضن اجتماعية لها في المدينة، بعد أن فشلت في كسب ولاء سكان المدن، وتدمير النخبة الاقتصادية السياسية المدينية، واستبدالها بنخبة فاسدة وتابعة، ثم عَلْونة الثقافة بتحالف السلطة مع المنتجين الدراميين في تصدير رسائل السلطة عبر الفن التلفزيوني لإعادة تشكيل المجتمع ثقافيا وتشجيع نشر التشيع في الفضاء السوري لتفتيت الأكثرية السنية.

وحول ماهية العلوية يقول التليل إن العلوية تاريخيا تعني تلك الأسر وأولئك الأشخاص الذين ينتسبون إلى الإمام علي بن أبي طالب برابطة النسب، فهم من ذريته نسبا وبصرف النظر عن مذهبهم الديني، من أمثال الأسرتين الحاكمتين في كل من الأردن والمغرب، والعديد من الأسر والأفراد في العالم الإسلامي من ذوي النسب العلوي، ويعرفون كذلك بالأشراف، وعرفت هذه الأسر من القدم وتتوزع بين السنة والشيعة.

أما العلوية في جبال الساحل السوري فهي الطائفة المعروفة تاريخيا حتى عهد الانتداب الفرنسي بالنصيرية، وهي طائفة دينية تتميز بالغلوّ في علي بن أبي طالب ولا تنتسب إليه برابطة القرابة النسبية، وعرفت الطائفة النصيرية بالعلوية منذ أن منحها الفرنسيون هذا الاسم رسميا، بعد أن أسسوا الكيان الذي أطلقوا عليه اسم أراضي العلويين المستقلة. ومنذ ذلك الحين بدأت النسبة العلوية تضاف إلى كل ما يتعلق بذلك الكيان، وبدأت عبارات بلاد العلويين والشعب العلوي والعلويين تعرف بشكل واسع.

ويتابع "يبدو أن الفرنسيين أرادوا تحضير الطائفة النصيرية لدور سياسي كبير في سوريا، ولذلك توسعوا في تجنيد شبابها في القوات الخاصة للشرق، ومنحوها اسما جديدا (العلويين) أطلقوه على المنطقة الساحلية، وأنشأوا دويلة ووضعوا لها نظاما إداريا وقضاء مذهبيا، وأصدروا باسمها بعض الصحف والنشرات. وبالرغم من أن أنصار الدولة العلوية لم يتمكنوا من تشكيل كيان سياسي متماسك على قاعدة طائفية قابلا للحياة على غرار الموارنة في لبنان، إلا أنه لا بد من الاعتراف بأنهم لا يشكلون فقط فرعا مستقلا عن الإسلام، بل مجتمعا يعتبر نفسه مختلفا ثقافيا وتاريخيا عن الطوائف الأخرى في سوريا وعن غالبية المجتمع السوري".

وأضافت الدراسة أن مصطلح "علوي" لا يشير إلى هوية إثنية أو أيديولوجية دينية فحسب، بل يشير أيضا إلى المنطقة والنظام السياسي وذخيرة ثقافية وتاريخية متخيلة، ويمكن تتبع اختلافهم إلى التصور بأن لديهم خصوصية، وأنهم عارضوا دائما سلطة المسلمين السنة.

وتطرق التليل إلى العشائرية كعامل جوهري في تكوين الطائفة العلوية، وكذلك عملية استغلال المظلومية التاريخية من طرف تيار سياسي أو لتعزيز سلطة عائلة حاكمة، حيث عملت الأحداث السياسية المعاصرة باستمرار على إيقاظ روح المظلومية لدى هؤلاء، ويمكن استغلال تلك المخاوف دائما من طرف السياسيين الطائفيين لحشد وتجنيد الطائفة خلف تيار سياسي أو عائلة حاكمة.

وفي أحداث عام 2011، وما بعدها عملت المخاوف ذاتها وبقوة على تجنيد الطائفة خلف نظام الأسد رغم كل محاولات الطمأنة التي قام بها الناشطون والمعارضون دون جدوى.

وحول الارتباط السياسي بالتيار الشيعي العام، يعتبر التليل أن مشايخ الطائفة المعاصرين يحرصون في كل مرة يضطرون إلى التصريح العلني، أو الرد على الخصوم، وفي الأزمات السياسية على التأكيد على ارتباطهم بالتيار الشيعي العام. ويسوّق بعضهم عقيدته الإمامية الجعفرية.

وأصدر الشيخ عبدالرحمن الخيري عددا من الكتب، أكد فيها على أن العلويين مسلمون إماميون إثنا عشريون في العقيدة، جعفريون في الفقه، وأن اسم العلويين ليس إلا اسما أطلقه الفرنسيون بغرض تفريق صف المسلمين وتشجيع الطائفية، ويسوّق في كتبه جملة من البيانات والمذكرات التي أصدرها مع آخرين يؤكد على هذه الأفكار.

كذلك نسج منير الشريف على المنوال ذاته في كتابه "المسلمون العلويون من هم؟ وأين هم؟" جعل العلويين والإماميين الإثني عشريين شيئا واحدا، وجعل العلوية والإمامية مترادفين لمعنى واحد، كما نشر في كتابه عددا من البيانات وقعها وجهاء علويون، يؤكدون فيها أن العلويين فرع من الإمامية الإثني عشرية، وأن عقيدتهم عقيدة الإمامية.

وأوضح التليل أن الصداقة التي ربطت حافظ الأسد ورجل الدين الشيعي اللبناني ذي الأصل الإيراني موسى الصدر، أثمرت إصدار الأول فتواه الشهيرة عام 1973 التي اعتبرت العلويين جزءا أصليا من الشيعة، وكانت الغاية من إصدارها تعزيز موقع الأسد في مواجهة منتقديه السنة، الذين كانوا يرونه وطائفته خارج الدائرة الإسلامية.

ويرى أن الطائفة العلوية، ومنذ أن برز الضباط العلويون كلاعب رئيسي في السياسة السورية، بدأت تثير اهتمام قادة الشيعة الإثني عشرية، ما جعل هؤلاء يحاولون ضمهم إلى العقيدة الإثني عشرية، ورغم أن هذا الاتجاه لاقى اهتماما وتشجيعا تبعا للمصلحة السياسية للعلويين، خاصة في بداية عهد حافظ الأسد متأثرا بالأحداث السياسية الداخلية في سورية، ثم أحداث لبنان، وكذلك في فترة التقارب الإيراني السوري في عهد بشار، إلا أنه لم يؤد إلى اندماج العلوية في الإثني عشرية، رغم التحالف السياسي القائم.

ولم تلق دعوى التشيع قبولا واسعا داخل الطائفة، ولم يتحول التيار المتشيع إلى ظاهرة تكتسح الطائفة، بسبب قلة عدد المهتمين بالدين عموما، فالمجتمع العلوي لم يعتد الكثير من التكاليف الدينية في تاريخه، ولم تغره حركة التشيع التي رأى فيها المزيد من القيود والأحكام الدينية، ولذلك لم تندمج الطائفة العلوية في التشيع الإثني عشري، وظل التشيع، في العموم، عنصرا تاريخيا في سرديتها، وتشكيلها الإثني.

وعرف التليل العلوية السياسية بأنها "ظاهرة سياسية عسكرية، نشأت في المؤسسة العسكرية ابتداء من الأعضاء العلويين في التنظيم العسكري لحزب البعث، استنادا إلى علاقات تضامن طائفية وعشائرية ومناطقية، كقناة لتوزيع السلطة، تستولي على أهم المراكز في الدولة بشكل منظم وقسري، وتجيّر مؤسساتها لمصلحة طبقة سياسية عسكرية طائفية".

ويتوصل إلى أنها ظاهرة سياسية بمعنى أنها تعمل بشكل منظم لأهداف سياسية. ولها طابع عسكري بمعنى أنها حالة طائفية ولدت داخل الجيش، وهي ترتكز بشكل أساسي على عصبية طائفية بالمعنى الخلدوني، تستولي على الأجهزة الأمنية وأهم القطعات العسكرية وتكون جيوشا خاصة لا تخضع لأجهزة الدولة الرسمية، وتتحكم بالجسم العسكري والأمني والسياسي والاقتصادي والإداري للدولة.

> الفرنسيون أرادوا تحضير الطائفة النصيرية لدور سياسي كبير في سوريا، وأنشأوا دويلة ووضعوا لها نظاما إداريا مذهبيا

ومن الضروري التفكير في خصائصها المميزة، وتفريقها عن غيرها من الظواهر السياسية المعروفة، والتي قد تتقاطع معها في صفة من صفاتها، أو تشابهها في بعض سلوكياتها العملية، فهي وإن كانت متفردة في حقيقتها كما نعتقد، إلا أنها كثيرا ما تتشابه مع غيرها وهذا ما يؤدي عادة إلى الالتباس في تعريفها أو القدرة على فهمها وإدراك ماهيتها.

ويضيف أن العلوية السياسية تتميز بأربع خصائص رئيسية تميزها عن غيرها من الأنظمة السياسية المشابهة، وهي: ظاهرة ريفية وليست مدينية، أقلوية محملة بذاكرة تاريخية، عسكرية محملة بأيديولوجيا سياسية، ومتأثرة بباطنية دينية.

ولفت إلى أن الباطنية العلوية لم تعد مجرد طريقة لتفسير النصوص الدينية، كما رأينا من شهادات الأشخاص الذين تعاملوا مع حافظ الأسد وصلاح جديد، لقد تطورت إلى نهج سياسي. نهج قائم على الغموض والوحشية والبراغماتية بلا حدود. كذلك امتد منهج الغموض إلى مؤسسات الدولة ذاتها، عندما انزاحت السلطة الحقيقية إلى أجهزة الاستخبارات، تلك الأجهزة المعُلونة، التي باتت تحكم باسم الرئيس منذ انقلاب 1970 ولم يعد للمؤسسات الرسمية للدولة أيّ سلطة خارجة عن تحكمها وسيطرتها.

وقال التليل "إن الحالة الطائفية التي يقدمها نظام العلوية السياسية من التفرد والخصوصية ما يجعل من الصعب ولادة حالة مشابهة لها في أيّ من الدول القريبة أو البعيدة، نظرا لخصوصية الطائفة العلوية، وعدم وجود حالة اجتماعية مثيلة في أيّ مكان من العالم، كما أن الظروف التاريخية والسياسية التي ساهمت في صعودها من الخصوصية، بحيث تجعل من جملة هذه العوامل حالة خاصة بالغة التعقيد، ومرتبطة بالزمان والمكان والأشخاص والأفكار والمعتقدات، والأيديولوجيات.

لقد كانت ظاهرة العلوية السياسية نتيجة تلاقي طائفة دينية باطنية ريفية ومنبوذة، تعيش أزمة تاريخية معقدة، وحزب البعث العلماني الذي ولد في بيئة محافظة، وغير مرحبة، لتلتقي هذه المكونات مع جيش يعاني من مشكلة بنيوية موروثة منذ عهد الانتداب، لتلتقي هذه العوامل الثلاثة جميعها في لحظة تاريخية مواتية، في مجموعة خاصة من الأشخاص تلك هي اللجنة العسكرية، وهي مجموعة من الضباط الصغار، من أبناء الأقليات الدينية من البعثيين السابقين، ليتمكن هؤلاء من قلب نظام الحكم المتهالك أصلا، وليدخلوا البلاد في حالة غير مسبوقة تنتهي إلى نظام طائفي أقلوي عسكري ما ندعوه بالعلوية السياسية.

وأشار التليل إلى أنه مثلما تعمل العلوية السياسية لمصلحة الطائفة العلوية في العموم، كذلك تعمل على تسخير الطائفة في تثبيت حكم النخبة العسكرية الأمنية بوسائل شتى، أخطرها تغيير التوزع السكاني التاريخي، كما حدث في مدن كحمص ومدن الساحل، واستعمال الطائفة كتجمعات بشرية وظيفية في حصار العاصمة دمشق لغايات سلطوية. ولا يقل عن هذا التغيير في الخطورة إعادة تشكيلها للنخبة الاقتصادية والسياسية بكل الوسائل غير القانونية وغير الأخلاقية وإنتاج واقع جديد في الاقتصاد السياسي للبلد عبر إعادة توزيع الثروة بشكل غير قانوني وغير عادل.

وخلص التليل إلى أن جناح اللجنة العسكرية التي استأثرت بالحكم عقب انقلاب 1963 في علونة الجيش والأجهزة الأمنية، ممّا أدى إلى غياب الخطوط الفاصلة بين الطائفة العلوية وهذه الأجهزة نتج عنها وجود حالة من التداخل بين الطائفة والدولة، نتجت عن تمركزها في أهم مؤسسات الدولة الصلبة (الجيش والأمن ورئاسة الجمهورية) وقدرتها انطلاقا من هذه المؤسسات، على التأثير في جميع مفاصل الدولة معا وتسلطها على حياة الناس اليومية. ومن الأمور الخطيرة أيضا التدخل في الهوية الثقافية للسوريين عبر نشر التشيع والإنتاج الثقافي، خدمة لأهداف سلطوية تتعلق باستدامة سيطرة العائلة والطائفية والنخبة العسكرية الحاكمة.

إن وجود مسار سلطوي يوازي مسار المؤسسات الرسمية للدولة، وهو مسار مُعَلون بشكل كامل ينبثق عن القائد العلوي للجيش والقوات المسلحة المُعَلونة، ويتفرع عبر الأجهزة الأمنية المُعَلونة كذلك، ليطال جميع مؤسسات الدولة ويتحكم بها ويحجب بعضها ويصادر صلاحياتها. وأهم مظاهر المسار السلطوي الموازي تظهر في السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية.

في أحداث 2011 وما بعدها تجندت الطائفة وراء بشار الأسد

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

بحثا عن الاكتمال والخروج من الخفاء إلى التجلي

نجاة مكي

فنانة إماراتية تخلق من التراث عالما روحيا مجردا

حجاج سلامة
كاتب مصري

الأكاديمية والفنانة نجاة مكي أحد الوجوه التشكيلية الأكثر شهرة في دولة الإمارات العربية المتحدة، وإحدى العلامات البارزة في مسيرة التشكيل الإماراتي، حيث أسهمت بدور كبير في الحركة الفنية المعاصرة في وطنها الإمارات ومنطقة الخليج والعالم العربي، كما تُعد أول امرأة إماراتية تحصل على منحة من الحكومة الإماراتية لدراسة الفنون بالخارج وذلك عام 1977.

ومنذ حصولها على درجة البكالوريوس، ثم درجتي الماجستير والدكتوراه في الفنون من كلية الفنون الجميلة بجامعة حلوان المصرية، وعلى مدار ما يزيد عن أربعة عقود مضت تواصل مكي مسيرتها التشكيلية التي شهدت الكثير من النجاحات والتكريمات المحلية والعربية والدولية، والتي كانت محط اهتمام الكتاب والنقاد والأكاديميين الذين كتبوا الكثير من الكتب والدراسات التي تناولت تجربتها وأضاءت على مختلف جوانبها باعتبارها تجربة تميّزت بالعمق والثراء، والغوص في بحور التراث الإماراتي الذي كان عنوانا بارزا للكثير من أعمالها التي تصنف ضمن قائمة الكبار ممن منحوا التراث بالغ الاهتمام في أعمالهم الفنية في إطار النظر إلى ذلك التراث بأنه أحد مكونات الهوية الوطنية للشعوب.

مئتا معرض فني

لعل الفنانة نجاة مكي من أكثر فنانات الإمارات والعالم العربي إنتاجا فنيا، حيث بلغ عدد المعارض الشخصية التي أقامتها 31 معرضا، بجانب 11 معرضا فنيا مشتركا، فيما بلغ عدد مشاركاتها بالمعارض الجماعية 158 مشاركة محلية وعربية ودولية.

كما أشرفت وشاركت في تنظيم 29 حدثا فنيا، وشاركت في 20 ندوة وورشة وجلسة حوارية، وكانت لها مشاركة في عضوية لجنة التحكيم في أكثر من مئة مسابقة فنية إماراتية وعربية ودولية، ونالت 36 تكريما في وطنها الإمارات والوطن العربي والعالم.

وأقامت الفنانة في مدينة الفنون العالمية في باريس مدة أربعة أشهر بدعم من مؤسسة الإمارات للنفع الاجتماعي سنة 2012، خلال تواجدها نفذت عددا من التجارب والورش الفنية، بالإضافة إلى تجربة أخرى وهي المزاوجة بين الشعر والتشكيل مع شاعر فرنسي، كما حصلت على إقامة فنية لمدة ثلاثة أسابيع في مدينة دسلدوف (ألمانيا) لتنفيذ عدة تجارب في الطباعة الحريرية.

وفي كل تلك المعارض والمشاركات، تمثلت الرؤية الفنية لمكي في الاهتمام بالإيقاع اللوني والشكلي وركزت في أعمالها الفنية على النمط التعبيري الرمزي كما كان للزمان والمكان حضور مباشر وقوي في بداية مشوارها الفني، وبمرور الوقت أخذت منحى آخر من خلال عناصر التكوين وارتباطها مع بعضها البعض وذلك في تجريد إيقاعي متناغم.

ظهرت لها عدة تجارب منها تجربة الألوان الفسفورية التي بدأتها سنة 1987 في أول معرض احتضنه نادي الوصل بدبي، أما المرأة فلها حضورها المباشر والقوي في أعمالها الفنية. كما لها تجارب في دراسة بعض الخامات بتقنيات مختلفة ظهرت من خلال أعمالها الفنية، وجسدت بعض الأعمال من المكتشفات الأثرية لمناطق في وطنها دولة الإمارات العربية المتحدة وذلك من خلال معرض خاص احتضنه متحف الآثار في الشارقة عام 2006.

ارتباط بتراث الوطن

لأنها تؤمن بأهمية ارتباط الفنان الوثيق بتراث وطنه، باعتباره أحد أهم مصادر الإلهام لدى كل فنان، فقد جاءت رؤيتها وتناولها الفني للتراث في صورة متفرّدة وشاملة، يبرز من خلالها كل ما يحتويه ذلك التراث من قيم ومصادر جمالية وفنية يعمل الفنان التشكيلي على إعادة صياغتها في أعمال فنية تحمل عبق وجمال الماضي.

ولأنها فنانة مسكونة بتراث وطنها، فقد وجدت في المهرجانات الفنية المعنية بالتراث وسيلة جيدة للوصل بين الأجيال، وتعريف كافة فئات المجتمع بالموروثات الشعبية، والحرف والفنون التقليدية التي انتقلت لنا من الأجداد والآباء.

> **الفنانة تؤمن بأهمية ارتباط الفنان الوثيق بتراث وطنه باعتباره أحد أهم مصادر الإلهام لديه ولها رؤية متفردة للتراث**

وفي مقابلة معها على هامش مشاركتها في المعرض الفني المصاحب لمهرجان الأقصر للشعر العربي، والذي ينتظم في بيت الشعر بمدينة الأقصر المصرية كل عام، أكدت لنا مكي أن التراث يمثل ذاكرة خصبة للشعوب، ومنه يستقي الناس القيم الاجتماعية والثقافية، بجانب ما تركه الأجداد من عادات وتقاليد مثلت إرثا غنيا بكل قيم الأصالة.

وأضافت أن في إطار اهتمام دولة الإمارات بالتراث والمحافظة عليه، فقد تعددت المهرجانات والملتقيات والمعارض التراثية التي تحتفي بذاكرة الإنسان وبالفنون التراثية، والتي يطّلع من خلالها الصغار على القيم والعادات والتقاليد وكل ما يتعلق بالموروث الثقافي والشعبي للوطن، حيث تسهم تلك المهرجانات في تأكيد ارتباط الأفراد بالمجتمع والبيئة المحيطة، وثم تعزيز دورهم في الثقافة المعاصرة وربطها بالتراث، بما يسهم في زيادة قدراتهم على العمل والابتكار والإبداع الأصيل الذي يربط بين الماضي والحاضر.

تعتبر مكي أن الفنون التراثية باختلاف وسائل التعبير عنها، ما هي إلا لوحة تشكيلية تتضمن عناصر وقيما فنية ومفردات ورموزا ووسائل تعبير تظهر من خلال ثقافة المجتمع وممارسته للحياة من خلال البيئة وما بها من إلهام.

وحول الصور التي تجسد العلاقة بين الفنون والتراث، تقول الفنانة إن "الفنون كنشاط إنساني، تنقل لنا تقاليد متناهية القدم سواء في أشكالها أو زخارفها وخطوطها التي تعكس أحاسيس الفنان الشعبي وانفعالاته، وهي تمثل لنا نسيجا واحدا تجمعه وحدة عضوية واحدة هي الإنسان: فكره وحسه ووجدانه".

تجريد إيقاعي متناغم

وبحكم دراستها للفنون في القاهرة، فقد تأثرت الفنانة الإماراتية بالعديد من الفنانين المصريين الرواد، من أمثال محمود مختار، ومحمد سعيد، وحامد ندا، والإخوة وانلي، والسجيني، وغيرهم، كما تحرص على المشاركة في العديد من المعارض والملتقيات الفنية من العاصمة القاهرة وحتى مدينة الأقصر في أقصى صعيد مصر.

محطات مهمة

مرت نجاة مكي بالكثير من المحطات الفنية المهمة في مسيرتها الثريّة مع الفنون التشكيلية، ونتذكر من بين تلك المحطات محطتين: الأولى معرض "مدارج الدائرة" الذي ضم لوحات الكتاب المشترك لها مع الشاعر المغربي حكيم عنكر.

وعن ذلك المعرض تقول مكي إنه خلال تلك التجربة المشتركة – تجربة معرض وكتاب مدارج الدائرة – تطورت مفاهيم ومعاني الدائرة في تجربتها الفنية من مجرد معطى بصري أو تزويقي في أعمالها إلى محمول فلسفي، وجدية صوفية، ممتزجة بمسافة متداخلة في عالم اللون والالتماعات من خلال تدرج الأخضر الدال على المقام الصوفي، إلى عنفوان الأزرق الذي بات التماسا للصفاء واقتفاء حركة الوجود مرورا بتوهج الأبيض الذي يمنح النور ويسمو بالكلمة إلى مراتب الصمت، واشتقاقات تعود بالعناصر إلى الأصل الذي يتوق إلى الجوهر والتوحد فيه، لتظل محاولة البحث عن الاكتمال والخروج من الخفاء إلى التجلي قائمة.

وأما المحطة الثانية من المحطات المهمة التي مرّت بها الفنانة التشكيلية نتذكر، هنا، معرضها الذي حمل عنوان "أنوار القلوب"، الذي وصفه الكاتب والفنان عمر عبدالعزيز بأنه حمل "مقترحات بصرية جمالية جديدة"، وأنه مثّل انطلاقة لمكي من مفهوم التوحيد الإسلامي المقرون برحلة المعراج الطويلة، من المُجسَّد الملموس الخاضع لقوانين الفيزياء الوجودية الأرضية، إلى المجرد اللا مرئي السابح في فضاء الأثير الماورائي متعدد الأنساق والأبعاد، ورأى أن المعرض تجلى فيه المعنى الجوهري للفراغ الدلالي المُتمثل في المحراب، وهو المعنى الذي يتّصل ضمنا بعمارة المساجد التي تستظهر أنصاف الدوائر، وتواليات الشكل الهندسي المكرور حدّ الامتداد، وانفساحات الإضاءات على الداخل والخارج المرئيين؛ فكأن ضوء الداخل في حالة تشرُّب للمُتّسعات والفراغات، ناقلا دفقات الأنوار الداخلية.

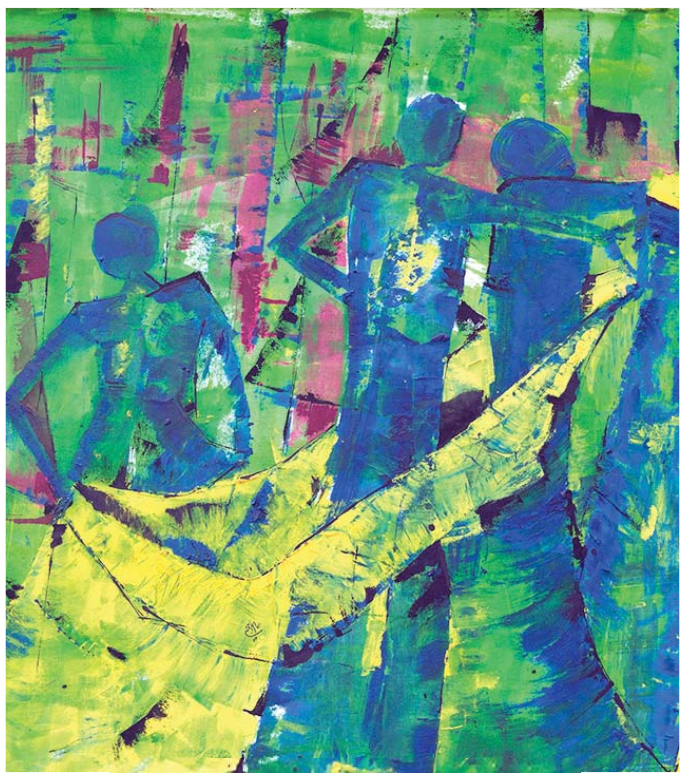

للزمان والمكان حضور مباشر وقوي

وبيّن عبدالعزيز أن أعمال الفنانة من الخارج مثّل فيها الزجاج الملون المُعشَّق كوة نور وألوانا قادمة من انعكاسات ضوء الشمس، وهي بجملتها نماذج لفكرة الفنانة، مؤكدا أن في معرض "أنوار القلوب" لم تكن هناك حواجز بين الجدران، ولا انغلاق ميكانيكي في أربع جهات، بل الجهات هي المنطلق لتعدد لا متناه لمفهوم الجهات ذاتها، فاليمين واليسار، والأمام والخلف، والفوق والتحت، انطلاقة مؤكدة نحو وجود أشمل وأرقى.

وأكد أن نجاة مكي مازجت في تجربة هذا المعرض بين الرسم والبناء التركيبي المفاهيمي، فيما تستدعي الإشعاعات فوق البنفسجية، كمؤشر إضافي على الانتقال بالألوان إلى آفاق جديدة، ومستويات أخرى من البهاء اللوني الذي كشف أبعادا جمالية متوارية جاءت وكأنها تسعف العين الآدمية بعيون أخرى موازية.

وتواصل الفنانة التشكيلية الإماراتية نجاة مكي مسيرتها الفنية، وتستمر في الحضور بالمعارض والملتقيات الفنية في الإمارات وخارجها، مقدمة في كل مشاركة أعمالا فنية تساهم في إثراء المشهد التشكيلي الإماراتي والخليجي والعربي والدولي، وتبقى تجربتها الفنية على الدوام محط أنظار الدارسين والكتاب والنقاد الذين وجدوا في مسيرتها التشكيلية حالة فنية خاصة، ومُبدعة أصيلة "لا تستكين للجاهز المألوف ولا تقبل بتكرار تجاربها في أكثر من معرض، ولا تكتفي بترويض التجربة وتصعيدها، بل لاحقتها بالمعارف وصولا إلى نيل الدكتوراه مع المعرفة المستمرة والتجريب الدائم".

هل يأتي اللادينيون بأخلاقهم من الفلسفة

الأخلاق السائدة في أغلب دول المعمورة أخلاق عملية ورأسمالية الأصل

الأخلاق موضوع فلسفي وليس دينيا فحسب، ولذا فإن من يقصر الأخلاق الإنسانية على الدين يهمل نصف الحقيقة، وكذلك من يقصرها في الفلسفة يهمل الجانب اللاأخلاقي فيها ويدفع بها إلى القدسية. بين المسارات التي انتهجتها الأديان والنظريات التي قدمها الفلاسفة على مر التاريخ يمكننا أن بني فكرة أكثر توازنا للأخلاق.

جادالكريم الجباعي
مفكر سوري

لا يزال الإيمان الديني يشكل وجدان المؤمنين بأي دين من الأديان أو مذهب من المذاهب أو عقيدة من العقائد الدينية، ويحدد قيمهم الأخلاقية، لا يزال الإيمان الروحي وازعا أخلاقيا، (مع أن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن). فما الذي يشكل وجدان اللادينيين أو الملحدين، ويحدد قيمهم الأخلاقية، ومن الحيف والغلو أن يفترض أحد تجرد هؤلاء جملة من الأخلاق؟ هل العقل أو العلم أو الفلسفة هو أو هي ما يشكل وجدان اللادينيين والملحدين، كما يمكن أن يدعي بعضهم أو بعضنا؟

نشك في ذلك، لأن "العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس"، كما وصفه ديكارت، ولأن ادعاء اللادينيين أو الملحدين أن العقل هو مصدر أخلاقهم ينطوي على إنكار ضمني بأن المؤمنين والمتدينين يشاركونهم هذه الصفة النوعية للكائن الإنساني. وحين يطعن المتعصبون دينيا أو مذهبيا بأخلاق اللادينيين والملحدين، إنما يجردونهم من إنسانيتهم، ويحلون دماءهم وأموالهم، وينكرون من ثمة أن الإنسان كائن عاقل وأخلاقي، (على صورة الله ومثاله). فتجريد الكائن الإنساني من الأخلاق هو تجريده من العقل، وتجريده من الحرية، ومن ثمة، تجريده من إنسانيته. و"الحاكم محكوم بما يحكم فيه"، بتعبير الشيخ محي الدين بن عربي، ومحكوم بمن يحكم فيه أو له أو عليه.

التمدن والأخلاق

مرّ حين من الدهر كانت فيه الحياة الجمعية نوعا من تجربة دينية خالصة، كما يعلمنا التاريخ العام، وتاريخ العقائد والأفكار الدينية، فمن أين جاءت الأخلاق المدنية في الحواضر والمدن القديمة والحديثة، وهل مجرد نشوء الحواضر والمدن يولّد أخلاقا مدنية؟ ثمة حواضر ومدن كثيرة جدا، في عالم اليوم، تغلب عليها الأخلاق الدينية، (لم نجد تعبيرا أفضل)، ما يعني أن الأخلاق المدنية لا تنتج من نشوء الحواضر والمدن بالضرورة. فلعل المسألة إذن في عوامل نشوء الحواضر والمدن لا في نشوئها ذاته.

العامل الحاسم في اعتقادنا هو التمدن، أي التطور التدريجي والانتقال البطيء مما يسميه فلاسفة العقد الاجتماعي "الحالة الطبيعية" إلى الحالة المدنية. هذا التطور التاريخي هو تعمق استقلال الإنسان عن الطبيعة، وأنسنة الغرائز الطبيعية شيئا فشيئا، وتفتّح الملكات الإنسانية النوعية، التي يمتاز بها الإنسان عن الحيوان، وأولها المعرفة المباشرة الناتجة من الإدراك الحسي. ومن طبيعة هذه المعرفة المباشرة تشكيل صورة العالم في الذهن، حيث تغدو هذه الصورة موضوعا للمعرفة، بدلا من العالم الواقعي "القائم هناك"، بأشيائه وظواهره، ما دامت معرفة العالم الواقعي غير متاحة.

هكذا يحل العالم المتخيّل والوهمي محل العالم الواقعي. ما يعني أن الإنسان قد وضع ذاته وجميع خصائصه الإنسانية في موضوع معرفته المباشرة، أو غير الموسّطة، ونسب إليه جميع مقدراته، ولاسيما قدرته على الخلق والإبداع، وأضفى عليه طابع القداسة والتعالي، فأغنى موضوعه وأفقر نفسه، فغدا الموضوع قوة خارجية تسيطر عليه، وتتحكم في مجريات حياته، وهذا هو المعنى الأولي للاغتراب. والمعرفة التي موضوعها عين ذاتها هي معرفة أسطورية ودينية، ولذلك لا تنفك الأساطير عن العقائد أو الأيديولوجيات، الدينية، وغير الدينية، حتى يومنا، وكان الاغتراب في الدين أول أشكال الاغتراب، ومن ثمة، فإن جهل حقيقة العالم أو جهل ما هو العالم على حقيقته، وجهل كيفية نشوئه هو أساس الدين.

يقودنا هذا إلى قولة ماركس "وجد الدين من أجل الإنسان ولم يوجد الإنسان من أجل الدين"، بل إن الإنسان هو من أوجد الدين، وهي مقولة تؤيدها الديانات القديمة، ما قبل التوحيدية، وتأليه الملوك، كما عند الفراعنة وغيرهم. فإذا كانت هذه المقولة صحيحة أو راجحة، على أقل تقدير، فإن قولة ماركس إن "الروح الإنساني هو الذي يسري في الدين" صحيحة أو راجحة على الأقل، ومن ثمة فإن الأخلاق المدنية ليست شيئا آخر سوى الروح الإنساني الذي يسري في الدين، ويتحقق، أو يمكن أن يتحقق، في الواقع المعيش، في أي زمان ومكان. فليس من الصواب أن نحذف الدين من تاريخ البشرية، ونتجاهل آثاره العميقة في حياة الأفراد والجماعات، والمجتمعات، المتقدمة منها والمتأخرة على السواء. وليس من الصواب أيضا أن ننفي تاريخية الدين وتحولاته على مر العصور، تبعا لتاريخية المعرفة، أو "تاريخية العقل" بتعبير صادق جلال العظم.

عملية تحقق الروح الإنساني أو تعينه في الواقع المعيش هي عملية التموضع أو التعين، التي تصير بها الروح الإنسانية موضوعية، وتصير بها الأخلاق الذاتية أخلاقا موضوعية، حسب هيغل، ولم يكن ماركس بعيدا عن ذلك، حين عالج مسألة الاغتراب في المخطوطات الاقتصادية والفلسفية للعام 1844، ومسألة التشيؤ، في رأس المال. وإن تموضع الروح الإنساني في الحياة الاجتماعية، في المجتمع والدولة، هو بالأحرى سيرورة تاريخية متصلة، لا تفتر ولا تني ولا تنقطع ولا تنتهي، إلا بافتراض زوال البشر من على هذا الكوكب. والروح الإنسانية لا تتموضع في الأخلاق فقط، بل في الفكر والأدب والفنون والعلوم، وفي كل ما ينتجه الإنسان. لذلك وصف ماركس المجتمع المدني والدولة معا بأنهما الإنسان مموضعا.

من البداية ربطنا الدين بالوجدان الفردي، أو الضمير الفردي، الذي ليس سوى معطى اجتماعي تاريخي، يتشكل بالتربية والثقافة والتعليم والتلقين.. في زمان ومكان محددين، ولكنه وجدان فردي أولا وأساسا. صفة الفردية هنا، بما تنطوي عليه من حرية نسبية واستقلال نسبي، علامة أخرى على الأخلاق المدنية، لأن الفردية، بهذا المعنى، نتاج تطور تاريخي، أو نتاج عملية أو سيرورة تمدّن مطّردة، على الرغم مما يتخللها من انتكاسات، على نحو ما نرى اليوم، بل يمكن القول إن الفردية، بما هي حرية نسبية واستقلال نسبي، منجز مدني حديث، على اعتبار الفرد الإنساني، أنثى كان أم ذكرا هو النموذج الكامل للإنسان، بصرف النظر عن أصله وفصله وجنسه ولون بشرته أو أيّ اعتبار آخر.

> الروح الإنسانية لا تتموضع في الأخلاق فقط، بل في الفكر والأدب والفنون والعلوم، وفي كل ما ينتجه الإنسان

سيرورة التمدن هي سيرورة نشوء "الصداقة المدنية"، التي تتجلى في المواطنة، كما تتجلى في العدالة، بما هي، أي الصداقة المدنية، اعتراف متبادل بين الأفراد والجماعات بالمساواة في الكرامة الإنسانية، والكرامة الوطنية، والحقوق المدنية والسياسية، ونزوع أصيل إلى التضامن والتعاطف والتعاون والتشارك الحر، ولا قيمة أخلاقية للوطنية والمساواة السياسية، من دون المساواة في الكرامة الإنسانية، ولا قيمة أخلاقية للمواطنة من دون العدالة. وهنا تتموضع، على وجه التحديد، مساواة المرأة بالرجل.

التمدن إذن هو الشرط اللازم أو الضروري لنشوء الأخلاق المدنية ونموها، لا العقل ولا العلم، ولا مجرد نشوء الحواضر والمدن، ولا مجرّد نشوء "المجتمع المدني" أيضا، فالعقل والعلم يمكن أن يتجها إلى ما يناقض الأخلاق، الدينية منها والمدنية على السواء، والمجتمع المدني لا يطابق مفهوم التمدن، إذ التمدن، في مقاربتنا، هو معيار تأنسن المجتمع المدني. ولذلك كان اقتران العقل والعلم بالأخلاق ضمانة لعدم جنوحهما إلى الشر والرذيلة، وكان المجتمع المدني محرزا إنسانيا يجب الدفاع عنه وكسبه كل يوم. ولعله من غير الصواب أن نضفي على العقل والعلم أو أيّ مفهوم آخر قيمة إيجابية مطلقة.

تأسيس الأخلاق

هل يمكن أن نعيش بلا نص إلهي، أي بلا إله؟ يقول الفيلسوف الفرنسي ميشال أونفري "بالطبع أنا ملحد، أنا أناضل لسنوات لتعزيز القيم الأخلاقية التي أفصلها عن الأخلاق الدينية، التي استمرت لعدة قرون. فمنذ أن أصبحت لدينا نصوص أخلاقية، وأشير هنا إلى الكتب التي جاءت في حكمة مصر القديمة، من طرف باسكال فيرنو (Pascal Venus) صرنا نعلم أن الأخلاق تستند إلى التسامي على الألوهية، على الإله. لقد سمحت أعمال كل من لودفيغ أندرياس فيورباخ ونيتشه وماركس وفرويد عن الإله والأديان برؤية الأمور بطريقة أقل لاهوتية وأكثر فلسفية. نحن لسنا في حاجة إلى إله لنتمتع بالأخلاق".

فلو قارنا قوله هذا بقول كانط "ليس الإنسان في حاجة إلى فلسفة ولا إلى علم لكي يعرف ما ينبغي عليه أن يفعل لكي يكون أمينا وخيّرا، لا بل ليكون حكيما وفاضلا.. فملكة الحكم العملية تتقدم، في الفهم الإنساني على ملكة الحكم النظري"، لبدا الفرق واضحا بين تأسيس الأخلاق على ممكنات الطبيعة البشرية وسيرورة تحسنها وبين تأسيسها على الفلسفة أو العلم، فإن تأسيس الأخلاق على الفلسفة أو على العلم يستبعد العناصر اللاأخلاقية فيهما، ويضفي عليهما قداسة ومعصومية ليست لهما. اللاأخلاقية، كالأخلاقية، حقيقة بشرية، فالفلسفة التقليدية، في معظمها، كانت تزدري المرأة، على سبيل المثال، وقد جاء وقت كان الفلاسفة فيه يناقشون مسألة هل للمرأة روح، ومن قالوا بأن لها روحا شبهوها بروح الحيوان أو النبات.

ويضيف أونفري "أخلاقي تستند على الوصية القديمة: 'لا تقتل. نقطة'. فلا حاجة للقيام بذلك إلى مناشدة مبرر متسام، إلهي ومقدس. وهذا يتعلق باللجوء إلى مجرد قاعدة بسيطة والتي دونها تصبح الحياة مع الآخرين مستحيلة. لنتفق على هذا الحد الأدنى من الأخلاق: لا يوجد سبب وجيه لقتل إنسان. لا شيء عندي يبيح ذلك. وهذا يكفي، في مجال الأخلاق، للبدء".

ربما لم يتنبه أونفري إلى ما وقع فيه من تناقض بقوله "أخلاقي تستند إلى الوصية القديمة: 'لا تقتل'"، وهذه وصية دينية، موسوية، كانت، ولا تزال في أساس الأخلاق الدينية للديانات التوحيدية.

في معارضة أونفري يطرح السؤال "هل يمكن أن نعيش بلا نص إلهي، أي بلا إله، ونكون أخلاقا بلا أمر أخلاقي إلهي، هل يمكن أن نعيش بلا أساطير وأوهام؟ الجواب نظريا طبعا نستطيع، والأخلاق السائدة في أغلب دول المعمورة أخلاق عملية ورأسمالية الأصل. غير أن التحرر من الإرث الثقافي المتوارث والذي يعاد إنتاجه في بنى راكدة أمر صعب إزالته برغبة إلحادية. وخاصة إذا كانت البنية الثقافية ليست في عملية تناغم تاريخي مع البنية الاقتصادية. فسرعة انتشار العلاقات الرأسمالية بوصفها ظاهرة عالمية في البلدان الراكدة لم تسمح بزعزعة البنى الثقافية المعتمدة".

السؤال مركب من سؤالين وأكثر: هل يمكن أن نعيش بلا نص إلهي؟ والجواب بديهي، "طبعا نستطيع"، لأن النصوص ليست من شروط الحياة، وليست من شروط العيش. ولكن المطابقة بين الله والنص، يمكن أن تجعل الإجابة ملتبسة، فالأديان السماوية والوضعية تذهب إلى أن الله هو مصدر الحياة، وعلة العلل، ما يحتم أن تكون الأخلاق أوامر إلهية. أما الشق الثاني من السؤال: هل يمكن أن نكون أخلاقا بلا أمر إلهي، فيجاب عنه "طبعا نستطيع، والأخلاق السائدة في أغلب دول المعمورة أخلاق عملية ورأسمالية الأصل".

وهذا قول فيه نظر، يحتاج إلى تعيين معنى "الأخلاق العملية"، هل هي من قبيل أخلاق الواجب الكانطية، و"ميتافيزيقا الأخلاق"، أم هي أخلاق براغماتية، وكلبية في الكثير من الأحيان؟ يرى بعضهم أن المجتمع الأميركي، الأكثر رأسمالية، هو الأكثر تدينا، وأن لأخلاقه "الرأسمالية" مصدرا دينيا، أو مصادر دينية. وقد اعتبر ماكس فيبر الأخلاق البروتستانتية من أسس الرأسمالية، إن لم تكن أساسها. واعتبر ماركس اليهودية دين الرأسمالية الفعلي، ومن ثمة مصدر أخلاقها العملية، أما المسيحية فهي تتمتها المثالية، أي مصدر أخلاقها المثالية، التي قلما تندرج في الممارسة العملية، إذا كانت تندرج فيها.

الإشكال الأكثر أهمية هو ربط الأخلاق العملية بالإلحاد، إذ يوصف الإلحاد بأنه "ليس موقفا فلسفيا من العالم، بل هو ثمرة طبيعية من ثمار عملية التفلسف وصفة غالبا ما يطلقها المؤمنون على الفيلسوف. وآية ذلك أن العقل، عقل الفيلسوف، هو المرجع الأول والأخير له دون أيّ مرجع ديني إيماني". لا نعتقد أن ثمة صلة ضرورية أو سببية بين الأخلاق العملية والإلحاد، فالأخلاق الدينية أخلاق عملية أيضا، بالمعنى البراغماتي، إذا اعتبرنا الممارسة تعينا للأخلاق، والإلحاد يمكن أن يكون عدميا ولا أخلاقيا على طول الخط. العدمية هي القاسم المشترك بين الإلحاد الفارغ وبين التطرف الديني أو المذهبي، وإلا كيف نفسّر الإرهاب الذي تمارسه بعض جماعات الإسلام السياسي المتطرفة مذهبيا؟ والإرهاب استطرادا ليس مقصورا على بعض جماعات الإسلام السياسي، فإرهاب النظم الشمولية أو التسلطية، ببطانتها المذهبية، أمرّ وأدهى.

> تجريد الكائن الإنساني من الأخلاق هو تجريده من العقل، وتجريده من الحرية، ومن ثمة، تجريده من إنسانيته

إضافة إلى ما تقدم، ثمة التباس وتعميم تعسفي في اعتبار الإلحاد "ثمرة طبيعية من ثمار عملية التفلسف"، لأن عملية التفلسف لا تؤدي إلى الإلحاد بالضرورة، فمعظم الفلاسفة والعلماء، في الماضي والحاضر، مؤمنون، إيمانا ما. وما الإلحاد إذا لم يكن موقفا فلسفيا من العالم، يمتاز به هذا الفيلسوف أو ذاك؟ الماركسية استطرادا "ليست مدرسة لنشر الإلحاد"، بتعبير ماركس نفسه.

أما الدفع بنصف مقولة ماركس: الانتقال "من نقد السماء إلى نقد الأرض"، من دون المقدمة التي اعتمد عليها ماركس لقول ما قاله، ففيه ابتسار ونفي لمفاعيل التاريخ. المقدمة التي انطلق منها ماركس تقول: إن "نقد الدين قد أنجز في ألمانيا"، ولذلك بات ممكنا الانتقال من نقد السماء إلى نقد الأرض، أي من نقد الدين إلى نقد السياسة.

نقد الدين

إن نقد الدين بوصفه مدخلا ضروريا إلى نقد السياسة، ليس سوى نقد جذري لجميع أشكال اغتراب الإنسان عن عالمه وعن ذاته، وقد بلغ الاغتراب ذروته في النظام الرأسمالي، ولاسيما في صيغته الاحتكارية المتوحشة. أطلق ماركس على هذه الذروة صفة "التشيؤ"، أي جعل الإنسان شيئا تتحدد قيمته بالسلع التي ينتجها أو الخدمات التي يقدمها، لا العكس، وغدت العلاقات بين الأشياء علاقات اجتماعية، والعلاقات بين المنتجين والمنتجات علاقات شيئية. وذلك بتغريب الإنسان في العمل وفي عملية الإنتاج الاجتماعي، وتغريبه عن عالمه، أي عن المجتمع والدولة، ثم عن ذاته الإنسانية.

يبدأ نقد الدين بالتفريق بين الدين الروحي، أو الدين الذي يسري فيه الروح الإنساني، وبين المذاهب المختلفة والمتخالفة، التي ليس أيّ منها الدين، بألف ولام التعريف، ومنه، أي من هذا التفريق الضروري، إلى علاقة الدين بالسلطة، بمفهومها الواسع، على اعتبار المعرفة الدينية، نوعا ذاتيا من أنواع المعرفة المباشرة، أي غير الموسطة بموضوع يقع خارج الذات، تندرج كغيرها في جدلية المعرفة والسلطة، التي تصير بها المعرفة سلطة والسلطة معرفة (محافظة)، وإلا انتفى الديالكتيك. فالذين يذيبون الدين في التاريخ السياسي، أي في الصراع الطبقي، ويرجعون جميع الظواهر إلى الاقتصاد والصناعة وما إلى ذلك، إلى حد لا تظهر معه ملامح الدين وآثاره في حياة الأفراد والجماعات والمجتمعات، يهملون تضافر الدين والعصبية، في التاريخ السياسي عامة وتاريخ العرب خاصة، بما في ذلك العصبية "القومية"، في التاريخ المعاصر، والتي كانت، ولا تزال في خلفية الصراعات القومية والحروب.

فقد أشار محمد عابد الجابري إلى أن العصبية – عصبية قريش أولا وعصبية العرب جميعا – كانت شرطا ضروريا في نجاح الدعوة الإسلامية وقيام دولة العرب. مثلما أن الإسلام نفسه كان شرطا ضروريا لالتئام العصبيات العربية وتأسيسها الدولة، وكذلك كانت الحال لدى بقية الأمم والشعوب، حتى قيام النظم الديمقراطية التي لا تحتاج إلى أيّ عقيدة لتستمد منها مشروعيتها، لأنها تستمد مشروعيتها من ذاتها، أي من الشعب (ديموس). نزعم أن اليهودية والإسلام والمسيحية وغيرها مذاهب في الدين، (أرثوذكسيات) متنوعة، تولدت من كل منها مذاهب متنوعة، بفعل "السياسة"، التي تقترن بها السلطة بالعقيدة، حتى لتبدوان شيئا واحدا، وقد كانتا كذلك بالفعل في الأزمنة الغابرة.

المذهب أو السنة أو الأرثوذكسية هي ما نسميه "الدين الوضعي"، إذ ينتحل المذهب لنفسه صفة الدين، بألف ولام التعريف، ويعتقد أهله أنهم "الملة الناجية"، فتنطفئ جذوة الدين الروحي، وجذوة الضمير الإنساني. فهو، أي المذهب، لا يعبر عن الدين الروحي، ولا عن "الدين الشعبي"، حسب ما يسميه كثيرون، ويتعين في مؤسسات، هي مؤسسات السلطة الناعمة الملازمة للسلطة الفظة والتي تسوّغ سياساتها، وتضفي عليها طابع الشرعية وطابع القداسة أيضا.

الإرهاب وثيق الصلة بالدين الوضعي، التاريخي، الأيديولوجي، المؤسّسي، القابل للتسييس، والملازم والمتمم للاستبداد السياسي، لا بالنصوص التأسيسية، التي كل منها بنت عصرها.

كيف تتشكل الأخلاق (لوحة للفنان أسامة دياب)

ينشر المقال بالاتفاق مع «الجديد» الثقافية الشهرية اللندنية

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

«أمطري يا سماء» قصائد على ألسنة الأطفال

الشاعر المصري جابر بسيوني يقترح جماليات شجاعة في ديوانه الجديد

أدب الطفل لا يتوقف على القصص بل نجد الشعر يحتل مكانة هامة للغاية في تنشئة الأطفال وشحذ خيالاتهم وقدراتهم اللغوية علاوة على أنه وسيلة تحفيز وترسيخ القيم الأخلاقية وروح الانتماء، خاصة في ما يقدمه من أناشيد سهلة الحفظ تمثل روافد معرفية مؤسسة لكل طفل. ولكن من النادر أن نجد قصائد مكتوبة بألسنة الأطفال دون فوقية أو وعظ، وهذا ما انتبه له الشاعر المصري جابر بسيوني في ديوانه الأخير "أمطري يا سماء".

أحمد فضل شبلول
كاتب مصري

يحتوي ديوان الأطفال "أمطري يا سماء" للشاعر جابر بسيوني على أربع عشرة قصيدة، جاءت معظمها على لسان الأطفال، وقليل منها ما جاء على لسان الشاعر باعتباره الشاعر العليم في شعر الأطفال.

وهذا الأمر يجرنا إلى قضايا وإشكاليات الشعر المكتوب للأطفال، والشعر المكتوب عن الأطفال، فمن الشعر المكتوب عن الأطفال على سبيل المثال ما كتبه نزار قباني عن أطفال فلسطين في ختام قصيدته "هوامش على دفتر النكسة":

يا أيها الأطفالْ../ من المحيط للخليج، أنتم سنابل الآمالْ/ وأنتم الجيل الذي سيكسر الأغلالْ/ ويقتل الأفيون في رؤوسنا/ ويقتل الخيالْ ../ يا أيها الأطفال أنتمْ . بعد . طيبونْ/ وطاهرون، كالندى والثلج، طاهرونْ/ لا تقرأوا عن جيلنا المهزومْ .. يا أطفالْ/ فنحن خائبونْ..".

أما ديوان "أمطري يا سماء"، فهو ديوان مكتوب للأطفال، وليس عنهم، ومن هنا فإنه يتمتع بجماليات النص الشعري للأطفال التي تحدثت عنها في كتابي "جماليات النص الشعري للأطفال".

شعر مشرق

حملت القصيدة الأولى عنوان الديوان "أمطري يا سماء"، وهي تختلف تماما عن قصيدة "أمطري يا سماء" للشاعرة سعاد الصباح، المكتوبة للكبار، والتي تقول في مطلعها: أجل../ أمطري.. أمطري يا سماء/ فمأساتنا في الليالي سواء/ ونوحي معي بعد فقدان منْ../ نذرت له طول عمري البكاء/ أجل..".

أما قصيدة جابر بسيوني فهي من قصائد الأطفال التي تحتفي بالطبيعة وأمطارها وفرحة الأطفال أثناء هذه الأمطار لدرجة أن في الرسم المصاحب للقصيدة، وهو بريشة رحاب جمال الدين، نجد أن الطفل بطل القصيدة يصور نفسه (سيلفي) بجهازه المحمول، وهو تحت الأمطار فرحا بها هو وأخوه الصغير أو صديقه الذي يركض وراءه طالبا منه أن يصوره أيضا وهو تحت المطر.

يقول الشاعر إن المطر: "يحتوي لهونا/ والتقاط الصور". مع أن المطر إذا اشتد أكثر من ذلك ونزل بكثافة وغزارة فإنه قد يكون مؤذيا أو ضارا، وخاصة أثناء والفيضانات. ولكن الشاعر هنا، وشعر الأطفال بعامة لا يميل إلى المواقف الصعبة أو المؤلمة التي تجسد الخوف والرعب والهول أمام الطبيعة، فدائما شعر الأطفال يجنح إلى المبهج والمفرح والسار.

وأعتقد أننا كشعراء يكتبون للأطفال، نريد أن يستقبل الأطفال العالم أكثر إشراقا وأكثر بهجة ومرحا، حتى وإن كان الواقع أكثر بؤسا ويأسا وإحباطا ووجعا، وكاتب الأطفال في هذا الأمر لا يكذب ولا يتجمّل ولا يزيف الواقع، ولكنه يريد للوردة أن تتفتح وتصبح أكثر إشراقا وجمالا، ويريد مستقبلا أفضل للبشرية وللعالم.

وقد رأينا في قصيدة "أمطري يا سماء" هذا التوجه من الشاعر جابر بسيوني، وهو ما سنجده في معظم قصائده للأطفال سواء في هذا الديوان، أو غيره من الدواوين التي أصدرها للأطفال من قبل. القصيدة جاءت على لسان الطفل الصغير وهو يتغنى بالمطر، لعب فيها الشاعر على إيقاعات مشطور بحر المتدارك الأصلي (فاعلن) ولعب على تنويع القافية، ولكن غلب على هذا التنويع رويّ الهمزة، ومن خلال لفظة واحدة نستطيع القول إن شاعر هذه القصيدة، إسكندري، حتى وإن لم نعرف اسمه، **وهذه اللفظة هي "النوة" المتداولة بكثرة في المفردات اليومية لفصل الشتاء في الإسكندرية، ويوجد جدول بالنوات التي تستقبلها الإسكندرية، طوال أيام الشتاء.**

ومن "أمطري يا سماء" ننتقل إلى قصيدة "فرحة" وهي في نظري من أجمل قصائد الديوان، ففيها الخفة والحركة، وفيها الشقاوة والبهجة والمتعة، ساعد على ذلك إيقاع بحر الخبب السريع، الذي يتناسب تماما مع تلك الحالة المرحة والفرحة التي عليها الطفل، فهو بارع في تقليد الأصوات، ومنها صوت الخروف، وأصوات السيارات، وهو يحاكي كل النبرات، فهو يعلن عن مواهبه الفنية، وهو بارع في لعبة التخفي والعزف على المزمار.

الجد والجدة

وقد ظهرت براعة الشاعر في استخدام كلمة "صوت" للخروف دون أن يذكر المأمأة، وفي استخدام كلمة "أصوات" للسيارات، فالسيارات متنوعة الأصوات والكلاكسات، أما الخروف فله صوت واحد لا يتغير ما بين خروف وخروف، ولكن صوت السيارة يتغير ما بين سيارة وأخرى، وموديل وآخر، وهكذا جاءت الألفاظ مناسبة للمعاني.

وممّا يذكر لهذه القصيدة التي جاءت على لسان الطفل، هو تكرار لفظة "أنا"، فالطفل دائما يعتز بنفسه، كما يحب أن يلفت الانتباه له، ويكون محط أنظار الجميع، وقد تحقق كل هذا في تلك القصيدة الطفلية الجيدة.

أما قصيدة "علمني جدي" فقد كانت أيضا على لسان الطفل مع دخول حوارية قصيرة بينه وبين الجد، وجاءت أيضا على تفعيلة بحر الخبب، ولكن شتان ما بين سرعة الإيقاع في القصيدة السابقة "فرحة"، وهدوء الإيقاع في قصيدة "علمني جدي" مع أنهما ينتميان إلى البحر نفسه، ربما دخول صوت الجد الذي يسدي النصيحة وينقل الحكمة للحفيد، قد أسهم في هدوء الإيقاع، ولكنني وجدت لفظة أراها صعبة النطق على لسان الأطفال، وهي "يستطرد" في قول الطفل عن الجد: "وبعطف يحنو ويستطرد".

ربما عامل التقفية مع "يستشهد" في السطر الذي سبقها هو سبب الإتيان بها. إن صعوبة كلمة "يستطرد" هو مجيء حرف الطاء بعد حرف التاء. فالطاء صوت انفجاري مهموس لثوي ينطق أحيانا تاء، أما التاء فهو صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس، وأحيانا تبدل التاء طاء، ومن هنا تأتي صعوبة تعاقب هذين الحرفين معا على هذا النحو في كلمة "يستطرد" خاصة في عالم الأطفال الذي لا يعرف علم القراءة والتجويد بعد، وكيف تنطق الحروف الصعبة على هذا النحو.

جابر بسيوني لا يكذب ولا يجمّل ولا يزيف الواقع، ولكنه يريد للوردة أن تتفتح وتصبح أكثر إشراقا وجمالا

وقد ذكرني قول الجد لحفيده: "فالدرس له وقت/ واللعب له وقت". بقولي في قصيدة "قالت الشمس" في ديوان "حديث الشمس والقمر": "فللدرس وقت/ وللعب وقت/ وللأكل وقت/ وللنوم وقت". **وهو ما كانت تحدث به الشمس جميع الأطفال.**

أما في قصيدة جابر بسيوني فإن الجد هو الذي يخاطب حفيده ممثلا لجميع الأطفال.

وتحضر الجدة – بعد الجد – في قصيدة "جدتي" لنلتقي بمجزوء بحر الكامل، على لسان الطفل أو الطفلة، فلا يوجد تعيين لأحدهما، على عكس القصائد الثلاث السابقة التي جاءت على لسان الطفل المذكر. فمما يحسب لهذه القصيدة أنها تصلح للجنسين معا، الطفل والطفلة، الذي أو التي تخاطب الجدة التي غاب صوتها، ولم تتدخل في سياق القصيدة على عكس الجد في القصيدة السابقة الذي كان له حضور ووجود مهمان.

إن الاحتفاء بالجدة في مثل هذه القصيدة، احتفاء بالقيم والوفاء وتأكيد على تواصل الأجيال الصغيرة مع الأجيال الكبيرة في جو تسوده الألفة والحب والعطف والحنان، وهي قيم تربوية عظيمة جدا ينقلها الشاعر للأطفال على لسان الأطفال أنفسهم.

ولعلنا نتذكر قصيدة "الجدة" لأمير الشعراء أحمد شوقي، التي يقول في مطلعها: "لي جدة ترأف بي/ أحنى عليّ من أبي/ وكل شيء سرني/ تذهب فيه مذهبي".

لا يزال الشاعر يعزف على أوزان بحر الخبب في قصيدته "مكتبتي" التي جاءت على لسان الطفل أو الطفلة، فلا فرق، ليبين أهمية القراءة وتحصيل الكتب في كل فروع المعرفة، إلى جانب وجود "اللابتوب" والتعامل مع الآخرين عن طريق "الإيميلات"، وقد وردت الألفاظ الأجنبية كما هي بنطقها الأجنبي، ووضعها الشاعر بين قوسين، للفت النظر أنها كلمات ليست عربية. وأعتقد أن مثل هذه المفردات فرضتْ نفسها على قاموس حياتنا اليومية، وأصبح الجميع – صغارا وكبارا – يستخدمونها كما هي، فدلالتها واضحة، ربما أكثر من قولنا "الحاسوب المحمول" و"رسائل البريد الإلكترونية"، وهكذا.

وهذه شجاعة من الشاعر الذي يخاطر بكتابة الكلمات الأجنبية بنطقها غير العربي في نصوص عربية للأطفال. ولكن أليست اللغة كائنا حيا يتطور مع تطور مفردات العصر، وها هي الإيميلات واللابتوب والكمبيوتر وفيسبوك وتويتر أو إكس وروبوت، وغيرها أصبحت من مفردات العصر التي استوعبتها لغتنا العربية.

عالم الطفل

أتوقف عند قول الشاعر أو قول الطفل: عندي مكتبة من صنع يدي. وأتساءل: هل في استطاعة طفل في العاشرة، وما بعدها بقليل، أن يصنع مكتبة من خشب الزان الوردي؟ أفهم أنه يستطيع تكوين الكتب التي تحتويها المكتبة من اختياراته لها. ولكن صناعة المكتبة الخشبية، قد تحتاج شابا ناضجا أو رجلا، كالأب مثلا، أو الأخ الأكبر، أو النجار.

ولعلي أستطيع أن أثير مشكلة تشكيل الحروف كي تنطق نطقا سليما، ينقل المعنى المراد، وقد لاحظت بعض الأخطاء في تشكيل الحروف، مما يعود بالضرر على فهم الطفل للمعنى، أو يظن أنه المعنى السليم فيحفظه بخطئه على أنه صحيح، ومثال على ذلك: قَطَعَ (التي وردت بثلاث فتحات على القاف والطاء والعين) والشاعر قد يقصد (قطع) الزان، أما لو كان الشاعر يقصد السؤال: من قطع الزان، فكان يجب إثبات علامة الاستفهام في نهاية السؤال، ليكتمل المعنى. مثل هذه الإشكاليات مهمة في عالم الكتابة للأطفال، قد لا تكون مهمة أو ضرورية في عالم الكتابة للكبار، لأن الكبير سيفهم المقصود من تلقاء نفسه، وسيدرك أن هناك خطأ ما. أما عند الصغير فالأمر مختلف. وليس هذا مسؤولية الشاعر بقدر ما هو مسؤولية المراجعة اللغوية والتدقيق لدى الناشر.

ومن مجزوء بحر الرمل تأتي قصيدة "تعلم يا صغيري" التي أثبت الشاعر أنها مقررة منذ عام 2018 ضمن منهج الصف الرابع الابتدائي بدولة الإمارات العربية المتحدة، وهي قصيدة تحريضية على أهمية العلم تحفل بأفعال الأمر، مثل: انهل، اقرأ، خذ، استشر، وغيرها. كما تستلهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة عن خشية العالم واتخاذ العلم درعا. فهي قصيدة حافلة بالمعاني والقيم والمثل والحكم التي نريد أن ننشئ أطفالنا عليها. وربما لهذا السبب قررت على الصف الرابع الابتدائي في دولة الإمارات، أي أطفال سن العاشرة تقريبا. ومن الحكم التي وردت بالقصيدة: "كم من البلدان هانتْ/ حين ضاع العلم منها/ تركته واستهانتْ/ فنأى الإشراق عنها".

وهو في هذا يذكرنا ببيت مشهور لأمير الشعراء أحمد شوقي يقول فيه: "بالعلم والمال يبني الناس ملكهم/ لم يبن ملك على جهل وإقلال".

والقصيدة تأتي على لسان المعلم أو الأب، وليس على لسان الأطفال كما في القصائد السابقة.

القصيدة الثامنة تحمل عنوان "أحب بلادي"، وهي قصيدة – كما يتضح من عنوانها – تعلو فيها النزعة الوطنية، ويعلو فيها إيقاع مجزوء بحر المتقارب، وتأتي ثنائية القافية على لسان الطفل أو الطفلة، وبها بعض أخطاء التشكيل اللغوي التي يفضل الابتعاد عنها عندما نكتب للأطفال.

وفي حوارية خببية جميلة بين الطفل وأبيه تأتي القصيدة التاسعة "ما أجمل أن تسعد غيرك"، وفيها يعاتب الأب ابنه عندما حجب شروح الدرس عن الأصحاب، وينصحه بأن يبسط كفه ويعاون الآخرين، ويضرب الأب أمثلة من عالم النمل والنحل، تقترب من عالم الطفل. وأتوقف عند لفظة أو كلمة مجردة قد تكون صعبة الفهم والتصور لدى الأطفال مثل لفظة "جلال" في قول الأب: وعلى درب الماضين لعون الناس جلال.

ومن حوارية الأب والابن، إلى حوارية الأسرة الخببية في القصيدة العاشرة "ما أجمل فعل الخير"، ويصور فيها الشاعر جلسة الأسرة – التي نفتقد مثلها كثيرا في سنواتنا الأخيرة – لمناقشة الأحوال الإنسانية، ولم يقل لمناقشة الأحوال الأسرية، فالتركيز على العالم الخارجي في جلستهم الأسرية أكثر من التركيز على العالم الداخلي.

ومن أفضل قصائد الديوان،– بعد "فرحة" – القصيدة الخببية "أعشق كل الألوان" التي تأتي على لسان الطفل، والتي تحفل بالحركة والألوان المختلفة، وتدخل شخصية العم – لأول مرة – بعد شخصيات الأب والأم والأخت والمعلم، في قول الطفل: عمري عشر سنين، علمني عمي التلوين. ولأول مرة أيضا يصرح الطفل بسنه.

في هذه القصيدة الجميلة نلتقي عالم الألوان الذي يتحرك ويموج ويتداخل، فلكل لون معنى وحياة، وهكذا يعلمه العم أن اللون حياة، وصولا إلى العلم المصري ذي الألوان الثلاثة: الأحمر والأبيض والأسود، والذهبي اللامع لون النسر المصري، نسر صلاح الدين.

وكم وددت من الشاعر أن يتعمق أكثر في الألوان، فيذكر للطفل أسباب اختيار ألوان العلم المصري، أو معنى هذه الألوان الثلاثة، ولماذا تم اختيارها دون الألوان الأخرى، ليعرف الأطفال القراء ويتثقفون من خلال القصيدة.

القصيدة الثالثة عشرة عبارة عن باقة ورد في نغم خببي، يختارها الطفل ويهدي منها، وهي تعد امتدادا للقصيدة السابقة عن الألوان، لأننا سنجد أيضا في "باقة ورد" ألوان الورد الأبيض والأحمر والأصفر والأخضر والبمبي، فهي ألوان خمسة، مقابل سبعة ألوان في قصيدة "أعشق كل الألوان". وعالم الألوان من العوالم المحببة للأطفال بصفة عامة، يفرحون بها ويختارون من خلالها ملابسهم وألعابهم وأكلاتهم ومشروباتهم، وفعلا الألوان حياة بالنسبة إلى الأطفال.

وأتوقف عند دلالة اللون البمبي بالنسبة إلى الطفل، حيث يرى الشاعر أن هذا اللون لليالي السعد، وعليه نكتب "مع كل الود". وأتساءل: ما الذي سيفهمه الطفل في هذا السياق، سيظل معنى اللون البمبي – من خلال هذا السياق – غائما في تصوره ومدركاته. وكنت أتوقع من الشاعر أن يذكر أصنافا من الورود والأزهار تناسب الألوان التي ذكرها، فما صنف الورد الأبيض الذي يهديه للجد، وما صنف الورد الأحمر الذي يهديه لزميله مجدي، وهكذا، فهناك الورد الجوري، وهناك الورد البلدي وهكذا، وكان يمكنه اللعب على رائحة الورود أيضا، وبذلك يكتسب الطفل ثقافة جديدة من خلال القصيدة. وقد استطاعت الرسوم المصاحبة ترجمة هذه الأنواع ولكن لم تكتب على الرسم بالطبع أن هذا الورد الأبيض هو النرجس، أو غيره.

ونختتم هذه الباقة من القصائد الطفلية بقصيدة مهمة عن كاتبنا الكبير الراحل نجيب محفوظ، وهي تختلف كلية عن القصائد الثلاث عشرة السابقة، ولكنها تتفق مع معظمها في البحر الشعري، فقد جاءت من الخبب، متنوع القوافي، ولكن على لسان الشاعر نفسه، وأستطيع أن أقول إنه في هذه القصيدة هو الشاعر العليم – مثل الروائي العليم في عالم الرواية – لأنه يقدم ما يعرفه أو يعلمه هو، ولا يعرفه، ولا يعلمه الطفل الذي كانت تجئ القصيدة على لسانه في نصوص سابقة بالديوان.

شعر الأطفال عامة لا يميل إلى المواقف الصعبة أو المؤلمة التي تجسد الخوف والرعب والهول أمام الطبيعة

ومن خلال القصيدة يعرف الطفل أسماء أشهر أعمال نجيب محفوظ مثل: ميرامار، والكرنك، وبداية ونهاية، وقصر الشوق، وبين القصرين، وعصر الحب، أما "أولاد حارتنا" فقد غير الشاعر اسمها ليكون "أولاد الحارة" وهنا تكون الخطورة في تغيير أسماء الأعمال المشهورة في عالم الأطفال لضرورة وزنية أو إيقاعية، وسوف يعرف الطفل من خلال القصيدة أن هناك رواية اسمها "أولاد الحارة" وعندما يسأل عنها لن يجدها. وإنما سيجد "أولاد حارتنا" و"حكايات حارتنا"، ولكن الشاعر ذكر "أولاد الحارة"، وهو يصدقه، وهنا يكون المأزق.

وأشير هنا إلى الرسم المصاحب للقصيدة الذي أتى ببورتريه رائع لنجيب محفوظ، وذكر اسم "السكرية" ضمن ما ذكره من أسماء روايات نجيب محفوظ، والشاعر لم يذكر اسمها في قصيدته.

من خلال استعراضنا لقصائد ديوان "أمطري يا سماء" نستطيع أن نستخلص بعض الظواهر أو اللمحات، ومنها أن بحر الخبب وتفعيلاته (فعلن فعْلن) كانت هي المسيطرة على قصائد الديوان وبلغت عشر قصائد، أما مشطور المتدارك (فاعلن) فقد حظي بقصيدة واحدة، مثله مثل مجزوء الكامل، ومجزوء الرمل، ومجزوء المتقارب. وهذا يتماشى مع إيقاعات الشعر المكتوب حاليا للأطفال، سواء العمودي أو التفعيلي، وغاب مجزوء بحر الرجز تماما، وهو البحر الأكثر تداولا بعد الخبب في دواوين شعر الأطفال عامة.

أيضا من ملامح هذا الديوان كثرة القصائد التي جاءت على لسان الطفل أو الطفلة، فكان هو – أو هي – بطلها والضمير المتحدث فيها، وقد بلغ عدد هذه القصائد إحدى عشرة قصيدة، بينما جاءت قصيدة واحدة على لسان الأب أو المعلم، وأخرى على ألسنة الأسرة، وأخيرة بلسان الشاعر العليم نفسه. وهو ما يكشف عن معايشة الشاعر لعالم الأطفال، وقدرته على التعبير عن هذا العالم بسهولة ويسر واقتدار.

شعر الأطفال يجنح إلى المبهج والسار (لوحة للفنان تحسين الزيدي)

مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي يعيد المسرح إلى بيئته الأولى

«الناموس».. صراعات أبناء العم ونهايات مؤلمة في مسرح مليء بالرموز

لكل شعب خصوصياته الثقافية وعاداته الفرجوية، ووفق هذا الإقرار فقد عرفت ثقافات وجغرافيات أخرى إضافة إلى الإغريق الفن المسرحي، ومنها الثقافة العربية، ولكن ترسخ المسرح مع العلبة الإيطالية ليصبح في شكل واحد، وهو ما تحاول تجاوزه الكثير من التظاهرات المسرحية التي تعنى بالمسرح في فضاءات خارج العلبة في شكله، وخارج التكرار مستفيدا من قصص بيئته وخصوصياتها الثقافية، ووفق هذا التمشي يأتي مهرجان الشارقة للمسرح الصحراوي، معيدا المسرح إلى فضاءات بداياته.

دراما تحركها القصائد

محمد ناصر المولهي
كاتب تونسي

انطلقت فعاليات الدورة السابعة من مهرجان المسرح الصحراوي، بلقاء تعريفي بمخرجي الأعمال المشاركة، والذين قدم كل منهم لمحة عن عمله وعن رؤيته للصحراء كفضاء مسرحي وما توفره من إمكانات وروافد ثقافية وفنية وفكرية، علاوة على ما تطرحه من تحديات أمام المسرحيين بداية من المخرج والممثلين إلى التقنيات المطلوبة لخصوصية المكان.

وتطرق كل مخرج من المخرجين، الذين يمثلون خمس جنسيات عربية هي موريتانيا ومصر والأردن وسوريا والإمارات، إلى خصوصية العمل المسرحي الصحراوي، في تأكيد على إمكانية الخروج عن الشكل والفضاء المتداول ممثلا في العلبة الإيطالية، والعمل على مناخات وفضاءات أخرى بأشكال وطرق وقصص مختلفة.

حب في البادية

طيلة الأشهر الماضية كان التنسيق يوميا لإنجاز عرضهم "الذيب" الذي يستفيد من قصص البادية السورية ورمزية الذئب في المخيال العربي مقدما قصة حب مثيرة في بيئة صنعت مجد أشهر قصص الحب العربية.

وقال المخرج السوري سامر محمد إسماعيل إن "العودة إلى الصحراء هي عودة للمنامات الأولى والأبجديات الأولى، الصحراء فضاء عبقري يعيد المسرح إلى أصله، فالمسرح ليس فقط في العلبة، وهذا الفضاء (الصحراء) يوفر لنا قدرات جديدة وإمكانيات مختلفة في إنجاز العروض".

وأضاف "البادية السورية مكان لم يتم تناوله، بادية الشام منطقة غنية جدا ثقافيا وفنيا، وهي امتداد لشبه الجزيرة العربية".

وإن اشتغل إسماعيل سابقا في البادية السورية، فقد استفاد من تجربته ليحاول في عمله الجديد تقديم قصة، معروفة للجميع ربما، لكن طرحها يختلف. ويقدم العرض قصة الحب ويروي تفاصيلها وتقلباتها بشكل شرطي يجعل من الشخصيات، وفق المخرج، أكثر قربا للمتلقي.

المهرجان يكشف جماليات مسرحية مختلفة تقدمها الصحراء بما تختزنه من حكايات وثقافة عريقة وعناصر تراثية

ونوه إسماعيل بدور الموسيقى التي كانت عنصرا رئيسيا في العرض، لافتا إلى سعيهم لتطويع أدوات جديدة في العرض والابتعاد عن التكلف، إذ يراهنون على "العودة بالمسرح إلى بداية البدايات".

وقال المخرج الأردني فراس المصري حول مشاركة فرقة المسرح الحر بعرض "منيفة"، إنه يقدم عملا في "فضاء جديد لكنه يشبه فضاءنا، فتسعون في المئة من الأردن صحراء".

ولا يخفي المصري أنه كان هناك خوف من التجربة، لكن العمل يليق بفرقة المسرح الحر، التي تقدم فيه عصارة تجارب في التمثيل والأداء والنص.

وأشار إلى أن "منيفة" اسم صبية بدوية. متابعا "أردنا تقديم عمل مسرحي بدوي أردني باللهجة البدوية، وهي أعمال قليلة ونادرة في المسرح مقارنة بالأعمال الدرامية البدوية".

وبيّن أن المسرحية قصة تروى على لسان راو، وقد استخدموا أسلوب الراوي الذي يمكنه أن يقفز بنا بين مراحل زمنية ومكانية وأحداث مختلفة بسلاسة، إذ يسرد هذا الراوي قصة حب وعشق بدوية موشحة بالرقص والغناء، في محاولة لرسم صفات البدوي الأردني بشكل مغاير.

وأكد المصري أن هذا هو أول عرض للعمل، ولكن لديهم تنسيق مع الهيئة العربية للمسرح لتقديم عروض في فضاء مفتوح.

ولفت المخرج إلى أنه حضر فعاليات الدورة السابقة لمهرجان المسرح الصحراوي بالشارقة بصفته ضيفا، مؤكدا أنها كانت تجربة جديدة شاهدوا خلالها مجموعة أعمال مميزة وندوات بعد العروض.

مضيفا "لم نأت لنقدم قصصا فلسفية معقدة، فقصص الصحراء موجهة للجمهور" وهو الرأي الذي أثار حفيظة عدد من الحضور ومنهم المخرج المصري انتصار عبدالفتاح، الذي شدد تعقيبا على كلام فراس المصري أن المسرح الصحراوي ليس مجرد فرجة وترفيه بل فيه قصص أعمق من ذلك.

ملحمة وبحث

قال المخرج الموريتاني سلي عبدالفتاح "نحتاج إلى ربط الصلة وتوثيقها مع عالمنا العربي"، ذاكرا أن المخرج التونسي حافظ خليفة قدم دورات تدريبية في موريتانيا ولم يكتف بالإشراف على الفريق لإنتاج عملهم الملحمي "أولاد العالية".

وأضاف "عائشة وعالية، أبناء المرأة الأولى ذابوا في القبائل الأخرى، أما أبناء المرأة الثانية فصاروا أمراء وأصحاب شأن، هم أولاد مبارك". وذكر أن العمل "قصة خيل وما يوازيها من أحداث، قصة موسيقى وشعر موريتاني، وخاصة منه 'التبراع'، وهو شعر خاص بالمرأة".

وتابع المخرج "حاولنا كسر الروتين وتقديم شيء مختلف. صحراء موريتانيا صحراء عربية فيها الحب والجود والشجاعة"، مشددا على تحديات الطقس وغيرها في الإعداد للعمل.

وبدوره قال المخرج التونسي حافظ خليفة الذي أشرف على إعداد فريق ملحمة "أولاد العالية" في موريتانيا بتكليف من إدارة المسرح بالشارقة، "هي تجربة ثانية بعد 'بنت البار'. ما انتبهت إليه إدارة المسرح هو أن تطعّم التجارب المسرحية بمشرف فني، وهذا أفضل من الورشات التدريبية. تحولت إلى موريتانيا للعمل مع الشباب الذين وعوا وجربوا وأتقنوا مراحل إنجاز الملاحم".

وذكر أن "الحياة في موريتانيا لها إيقاع مختلف تماما، هناك ثراء كبير. ولكنهم اختاروا التركيز على حكاية أولاد العالية".

وقال المخرج المصري انتصار عبدالفتاح إن "المسرح الصحراوي جزء من الفضاء الكوني. أنا عاشق للأماكن المفتوحة. كان هناك تجربة قمت بها في أسوان في فضاء مفتوح، كان عرض 'راهب الأحجار' يتنقل على محطات والجمهور يتابعه"، متطرقا أيضا إلى خصوصيات عمله "الخروج إلى النهار".

العرض يحكي عن أبناء عم لا يكفون عن التقاتل والتباغض بين بعضهم البعض إلى أن انتهوا بشكل مأساوي

أما عمله الجديد الذي يعرض ضمن فعاليات المهرجان تحت عنوان "ترنيمة الصحراء" نجد فيه "الخال جالسا بعصاه في هذا العالم الفريد، الخالة التي تشكل بالطين أشكالا من عالم الصحراء، وكلاهما في انتظار شاب لا نعرف إن كان سيأتي".

وواصل عبدالفتاح "يأتي الشاب في حالات طقسية من الصحراء" ومن هناك تثار تفاصيل الحكاية.

وقال المخرج "اشتغلنا على الألوان في الملابس والديكور والممثلين خاصة الممثلات"، متابعا "العرض جزء لا يتجزأ من المكان".

وشدد عبدالفتاح على أن مسرح الصحراء "ليس مجرد عرض وحفلة سمر بل بحث عن مواضيع خاصة، فالصحراء لها طابع خاص".

وبين المسرحي السوداني عصام أبوالقاسم، الذي تولى تأطير ندوة المخرجين، أن كل العروض جديدة ومنتجة خصيصا للمهرجان، مشددا على أنها فرصة للمخرجين للاشتغال والتجديد في محاورة فضاء الصحراء.

وذكر أن موريتانيا تشارك سنويا في المهرجان في نوع من التمييز الإيجابي، نظرا إلى ثراء ثقافتها العربية الصحراوية، منوها أيضا بمشاركة المخرج المصري انتصار عبدالفتاح الذي عرف باشتغاله في الفضاء المفتوح ليقدم في عرضه في المهرجان تجربة ملحمية جديدة. ولفت أبوالقاسم إلى أن المخرج السوري سامر محمد اسماعيل يجدد الحضور السوري في المهرجان، معتبرا أنه فنان شامل مخرج وكاتب. مضيفا "المهرجان لا يقدم فقط عروضا، بل يوفر فرصة للجمهور للإقامة ومعايشة إنتاج العروض".

عرض «الناموس»

كان افتتاح المهرجان ليل الجمعة بالعرض الإماراتي "الناموس" إخراج محمد العامري وتأليف وأشعار سلطان النيادي. والناموس في مفردات اللهجة المحلية يعني "الشرف والمكانة الرفيعة التي ينالها الشخص بعمل استثنائي، يحقق فيه لنفسه ولمجتمعه العزة والكرامة والفخر".

عناصر مختلفة تداخلت في العمل الذي جاء فضاؤه عبارة عن خيام، وخلفها الكثبان التي تشتعل على رأسها النار، كما تتداخل فيه عناصر مثل الخيل والإبل، في جو قبلي، فيه تدور أحداث الحكاية.

يحكي العرض عن أبناء عم لا يكفون عن التقاتل والتباغض وتربية الحقد بين بعضهم البعض على أتفه الأسباب، بينما يغير غزاة كل مرة على شق منهم، وسط صمت الآخر، إلى أنه لم يبق لهم شيء، إلا خيمة واحدة تجمعهم، بينما يفرض الغزاة شروطهم الساخرة والجائرة عليهم، إما أن يقبلوا الدخول في سباق واسترداد ما راح من أموالهم وأغنامهم إذا فازوا، أما إن خسروا فيجبرون على دفع جزية سنوية من الذهب والفضة، وهو ما يخلق حالة خصام جديدة بين من هو مع الحرب والقتال لأجل الشرف ومن هو خانع يأتمر لحاجاته الخاصة فحسب.

العرض وإن كان ممتعا في عناصره غير المألوفة وفي موسيقاه وأشعاره الممتعة، فإنه جاء مليئا بالرموز، يقود تفاصيله رجل وامرأة في آخر مراحل الكهولة وبداية الشيخوخة، يلقيان أشعارا تنضح منها الحكمة والرأي السديد، رغم ما فيها من رثاء للحال كما تردد المرأة مثلا "ما أكثر عددنا وأقل فعلنا".

يخلق العرض متعة لمختلف شرائح الجمهور الذي تنوع بين نساء ورجال وكبار وصغار وحتى أطفال، إذ وفرت القصائد الملقاة وسط السينوغرافيا الصحراوية والإضاءة المؤطرة للفضاء المفتوح، حالة تخييل وكشف لملامح الدراما التي حركتها أيضا بشكل لافت المؤثرات الصوتية، مثل أصوات الإغارة وخبب الخيول وصهيلها المخيف، كما حركها الأداء المهم للشالات، وهي قراءة القصائد بصوت عذب وقد قام بتلحينها وأدائها الفنان محمد البادي والفنانة الدماني.

الشعر المؤدى لحنيا بالصوت دون آلات موسيقية كان عنصرا رئيسيا في العرض، بل هو البطل الحقيقي للدراما التي يقدمها الممثلون، إذ يحرك خيوطها ويتنقل بها من حال إلى حال، وصولا إلى النهاية التي كانت رمزية بأن تشتت الشمل وبقوا يحملون النار نازلين من الكثبان بحثا عن شرفهم المفقود وأرضهم وعرضهم.

سامر محمد إسماعيل
نراهن على العودة بالمسرح إلى بداية البدايات

فراس المصري
أردنا تقديم عمل مسرحي بدوي أردني باللهجة البدوية

سلي عبدالفتاح
عملنا قصة خيل وموسيقى وشعر وما يوازيها من أحداث

حافظ خليفة
الحياة في موريتانيا لها إيقاع مختلف تماما، هناك ثراء كبير

انتصار عبدالفتاح
مسرح الصحراء ليس مجرد عرض وحفلة سمر

عصام أبوالقاسم
المهرجان لا يقدم فقط عروضا بل يمكّن من معايشة إنتاجها

الرمزية أيضا في مشهد الفتى الصغير الحامل للناقة والذي يعبر مساحة الأداء بصمت، وكأنه رسالة أمل مؤجل بما ترمز له الناقة من العزة والشرف والأصالة، وما يرمز له الفتى من المستقبل، إذ لم تكن النهاية سوداوية في المطلق أو نوعا من العدمية، رغم واقعية النتائج التي آلات إليها، إذ لا تجمّل أو تجامل، بل تنقد الوقائع بدقة.

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

«باي باي طبريا» حكاية أربعة أجيال من النساء يحرسن ذاكرة فلسطين

الفيلم رسالة إلى الأجيال القادمة تذكرها بالأماكن المفقودة والذكريات المتناثرة

لا تقل الأفلام الوثائقية أهمية عن الأفلام الروائية، وقد تمكن الجيل الجديد من المخرجين والمخرجات عبر العالم من تطويع هذا النوع من الأفلام لسرد قصص وتواريخ ووقائع من منظورات وزوايا مختلفة، وهذا ما هو ماثل في تجربة المخرجة الفرنسية - الجزائرية - الفلسطينية لينا سوالم، سواء في فيلمها الوثائقي الأول "جزائرهم" أو فيلمها الجديد "باي باي طبريا".

علاء حسن
كاتب عراقي

في فيلمها الأول "جزائرهم" 2020 تحكي المخرجة لينا سوالم قصة جدّيها مبروك وعائشة اللذين تزوجا في قرية العوامر الجزائرية عام 1952، ثم انتقلا للعيش في فرنسا وتطلقا بعد 62 عاما من الحياة الزوجية، ومن خلال هذه القصة الشخصية تغوص في ذاكرة المهاجرين الجزائريين الأوائل إلى فرنسا. وها هي تعود هذه المرة في فيلم "باي باي طبريا" وتصور حياة والدتها (الممثلة الفلسطينية هيام عباس) وجذورها في فلسطين.

الفيلم الوثائقي «يفتح آلام الماضي» ليعكس الخيارات الحياتية الصعبة التي تواجهها الفلسطينيات منذ النكبة

الفيلم الوثائقي "يفتح آلام الماضي" ليعكس الخيارات الحياتية الصعبة التي تواجهها هيام عباس ونساء من عائلتها، متخذا نقطة البداية من النكبة الفلسطينية عام 1948 وما رافقها من تهجير ونفي وقيام دولة الاحتلال الإسرائيلي.

أجيال من النساء

وصفت المخرجة الفرنسية - الجزائرية - الفلسطينية لينا سوالم فيلمها قائلة "القصص التي ترويها هاتيك النسوة في هذا الفيلم لا تتمحور فقط حول تناقل حكاية بين امرأة وأخرى، أو من ابنة إلى أمها، أو من أم إلى ابنتها، بل إنها تنقل قصة أشخاص محرومين من هويتهم".

هُجّرت عائلة هيام عباس قسرا عام 1948 من طبريا إلى دير حنا، على بعد حوالي ثلاثين كيلومترا إلى الشمال الغربي، وهو ما يرويه الفيلم من خلال العديد من الأرشيفات الشخصية. هيام عباس المولودة عام 1960 في شمال فلسطين المحتلة، قبل ثلاثين عاما، غادرت إلى باريس مدفوعة برغبتها في دخول مجال السينما. وأدت عباس أدوارا كثيرة خلال مسيرتها الطويلة، أبرزها فيلم "العروس السورية"، "ميرا "، "الجنة الآن"، "غزة حبيبتي"، واتخذت قرارا صعبا بترك جدتها وأمها وسبع شقيقات في قرية دير حنا الفلسطينية لمتابعة التمثيل في فرنسا.

بعد سنوات، تعود مع ابنتها مخرجة الفيلم لينا سوالم، إلى منزل طفولتها خلال فصل الصيف، وتطرح كل زيارة من زياراتهم التي تم توثيقها على الفيديو من قبل والد سوالم الممثل الجزائري الفرنسي زين الدين سوالم. تعرض المخرجة قصص شريحة من النساء الفلسطينيات في عائلتها، لتكشف نضالاتهن، والشعور بقوتهن، والحداد على خسائرهن، وفهم تعقيداتهن وقبول تناقضاتهن. أرادت المخرجة لينا التقاط صور أجيال من النسوة الفلسطينيات لغرض توثيقها قبل أن تصبح في طي النسيان. في الوقت الذي يحاول الكيان الصهيوني إبادة ومحو ذكريات وانتماء الشعب الفلسطيني إلى أرضه.

ستأخذ هيام عباس ابنتها لينا سوالم إلى بحيرة طبريا، المعروفة أيضا باسم بحر الجليل، حيث يقال إن يسوع مشى على الماء. وتسرد لها كيف طرد أجدادها من طبريا في عام 1948. ستكشف الأم لأبنتها العالم الذي كانت جزءا منه أيضا: عالم عربي مقسم بسبب الصراع والتدخل الاستعماري والاحتلال الإسرائيلي الذي أعاد تحديد المناظر الطبيعية، ومع ذلك لا تزال الأسرة والجبال والأنهار والوديان والحدود مع سوريا إلى الشرق ولبنان من الشمال والأردن من الجنوب وقريتها في الجليل مطبوعة في الذاكرة منذ مغادرتها لمتابعة أحلامها في التمثيل في فرنسا.

تقول الممثلة هيام "لفترة طويلة، كنت أتساءل عما كان من المفترض أن يعنيه 'المنزل'. ولدت في المنزل وترعرعت في المنزل، لكنني نشأت في منزل كان حقا مثل الكثبان الرملية المتحركة. يمكن أن يبتلعك أو يبتلع أي شخص. لقد طورت فكرة أن المنزل هو هذا المنزل الذي حملته معي في قلبي، في ذاكرتي. لذلك فهي فلسطين لأن هذا هو المكان الذي أتيت منه والمكان الذي نشأت فيه. فلسطين جزء قوي من هويتي وهي الأمتعة التي أحملها معي".

في هذه الصورة المؤثرة والشخصية للغاية والسياسية التي لا مفر منها، تتتبع المخرجة لينا سوالم قصة والدتها ووالدة والدتها وعائلتهما الممتدة، التي تم تحديد جميع حياتها من خلال الانفصال والنفي والتشريد، متشابكة مع تسجيلات الفيديو المنزلية والحنين واللقطات الأرشيفية الغنية للحياة الفلسطينية على مر العقود.

"باي باي طبرية" مذكرات مؤثرة حول عبء المغادرة والقدرة على التحمل للذاكرة، والتصميم على صياغة مصائر وهويات المرء. يتمحور الفيلم الوثائقي الشخصي العميق حول الرحلة التي دفعت عباس إلى ترك عائلتها في فلسطين لمحاولة تحقيق أهدافها التمثيلية في الغرب. وقالت هيام عباس إن "الفلسطينيين لم يقفوا أبدا على عتبة الإنسانية، ففي بعض الأحيان يتم استبعادهم، لكن هذا لا يحدث دائما لأنهم يعرفون منذ سنوات أن الإنسانية تخضع لشروط وأحيانا يتحدون هذا التوجه عندما يقررون الصمت ويختبئون.. وهنا يكمن التناقض في الحضور دون التمكن من الحديث عن سبب وجودهم".

في هذا الفيلم الوثائقي الحميم نتابع حكاية أربعة أجيال من النساء وإرثهن المشترك لا تركز سوالم على والدتها فحسب، بل على والدة والدتها أيضا وسلسلة من النساء الشجاعات والعازمات اللواتي اضطررن إلى القيام بأشياء صعبة بشكل لا يصدق لإعالة أنفسهن وأسرهن كفلسطينيات صابرات ومناضلات. تغيرت حياة أفراد عائلة الممثلة هيام عباس بشكل لا يمكن إصلاحه خلال المنفى القسري منذ عام 1948، ويلوح في ظل تلك الصدمة بشكل كبير على قصتهم. تعلق ابنتها المخرجة لينا سوالم في الكثير من الأحيان على موقفها الخاص في هذه السلسلة العائلية، باعتبارها الأولى التي ولدت خارج فلسطين، ومع ذلك تشعر بعلاقة قوية بالعائلة التي لا تزال تعيش هناك.

يكشف الفيلم كيف تحافظ النساء الفلسطينيات على ذكرياتهن الحميمية والجماعية من خلال قوة علاقاتهن. نسيج حقيقي بين صور وذكريات مع الاستعانة بأرشيف عائلي. يصبح الفيلم استكشافا لانتقال الذاكرة والأماكن والخبرة والأنوثة والمقاومة في حياة نساء فلسطينيات يعتبر التجريد من الممتلكات، بالنسبة لهن هو القاعدة في ظل الاحتلال الإسرائيلي.

حدائق الماضي

"باي باي طبريا" فيلم يدور حول الكثير من الأشياء؛ قيمة الطموح أو الحلم مقابل قيمة الأسرة؛ والصدمة العالقة في المنفى؛ والشعور بالذنب والحب والندم، ولكن قبل كل شيء يتعلق الأمر بأهمية التوثيق. ربما يكون الجزء الوحيد الأكثر تحركا من هذا الفيلم الوثائقي المؤثر للغاية هو عندما تناشدها والدتها المريضة، في مكالمة فيديو لهيام عباس وتطلب منها أن تزورها، "دعونا نحقق أقصى استفادة من بعضنا البعض". بعد فترة وجيزة، ماتت الأم. عندما يرحل شخص ما، وكذلك أفكاره وخبراته وخصوصياته. لم يعد من الممكن سؤالهم عن حياتهم وتاريخهم وأي شيء.

على هذا النحو، فإن سعي المخرجة لينا سوالم لفهم من أين أتت، وما واجهه أولئك الذين سبقوها يحمل وجعاً ولوعة. إنها قصة عن الأماكن المفقودة والذكريات المتناثرة. توثقها المخرجة - المولودة في باريس قبل 30 عاما وأول امرأة في عائلتها لا تولد في فلسطين، نراها دائما تحاول معرفة المزيد عن عائلتها. والحاجة إلى العثور على مكانها في تاريخ النساء في عائلتها.

في وقت لاحق، ألقت المخرجة بنفسها في تحقيق شخصي لا يصدق حيث تتشابك الحميمية مع اضطرابات التاريخ، وارتدت إلى نسبها وبدأت بجدتها الكبرى أم علي، التي تحطمت حياتها السعيدة في نفس مدينة طبريا بسبب الاحتلال الإسرائيلي في عام 1948. وأجبرت العائلة على مغادرة منزلها، وتجولت على طول الطريق إلى الحدود مع لبنان، حيث فقدت إحدى البنات (حسنى)، التي انتهى بها الأمر عالقة في سوريا (والتي ستقضي بقية حياتها في اليرموك، أكبر مخيم للاجئين الفلسطينيين في العالم، ولم يتمكنوا من رؤية أحبائها إلا بعد 30 عاما سرا).

أعادوا الذكريات إلى الوراء حين كان منزلهم في دير حنا، لأن طبريا المحتلة أصبحت الآن خارج الحدود بالنسبة إليهم. زوج أم علي مزارع، "فقد عقله ومات من الحزن، ووجدت أم علي نفسها بمفردها. لديها ثمانية أطفال وآلة خياطة لإبقائهم جميعا على قيد الحياة. بعد ذلك تأتي قصة جدتها، نعمت، وهي معلمة في مدرسة ابتدائية لديها عشرة أطفال، إحداهن كانت والدتها الممثلة هيام، التي اشتبكت خيارات حياتها (أن تصبح ممثلة وتذهب إلى المنفى) بعمق مع تقاليد والديها والتي لن تعيد الاتصال بعائلتها إلا بعد ولادة لينا".

تكشف لقطات الأخبار والمواد الأرشيفية من عام 1948 عن المنازل المهجورة والدمار وخسائر التاريخ أثناء الانتقال إلى مستقبل غير مؤكد. تغطي سوالم عائلتها على مدى هذه الأجيال الأربعة، وهي قادرة على التأكيد بمهارة على كيفية تغير كل شيء. عن طريق الصور ومقاطع الفيديو (الخاصة والمتلفزة على حد سواء)، والرسائل، والقصائد (التي كتبتها هيام في سن المراهقة)، والنصوص المكتوبة وقرأتها والدتها، والرحلات الحالية إلى دير حنا وطبريا، تنسج لينا سوالم ببراعة خليطا احتفاليا مؤثرا للنساء في عائلتها.

يغمرنا الفيلم بروائح فلسطين وطيبة أهلها، ويتداخل الماضي والحاضر، ويتألق شعور قوي بالتراث والانتماء إليه. نراها تعود إلى مسرح الحكواتي في القدس حيث بدأت الممثلة هيام عباس حياتها المهنية في التمثيل وتصعد إلى المسرح لإعادة إنشاء مواجهات محورية مع والدها. في هذا الاستجواب الإبداعي للعائلة والذاكرة إعادة تمثيل اللحظة المتوترة من ماضيها، على مسرح الحكواتي حيث بدأت كممثلة، تعالج عباس المشاعر التي حملتها بعد مغادرة مسقط رأسها فلسطين إلى باريس.

تقول المخرجة لاحقا في التعليق الصوتي إن تعويذة والدتها المفضلة هي "لا تفتح البوابة للأحزان الماضية". لكن فيلم "باي باي طبريا" هو "تمرين مشترك في فتح البوابة وزرع حدائق الماضي حتى تنمو الأجيال القادمة. وعلى الرغم من التقاليد والمجتمعات التي عاشوا فيها، فقد تمكنوا من التأثير على العالم من حولهم، ونقلوا الكثير من الأشياء إلى والدتي ونقلتها إلي بصفتي امرأة الآن، وليس طفلهما أو حفيدهما، أردت التواصل معهم على قدم المساواة واحتضان قوتهم وتعقيداتهم وتناقضاتهم وعيوبهم وأن أكون صادقة معهم".

غالبا ما يكون تذكر الماضي مصدر حزن لهيام عباس، ولكن هناك فرحة واضحة في حبها لأمها وارتباطا وثيقا بإخوتها الكثيرين. إنها واحدة من عشرة الذين يشكلون نسيج العائلة ويلعبون أمام الكاميرات حيث تسجل لينا سوالم لحظة نادرة لعماتها وأعمامها معا.

الذاكرة الجماعية

لينا سوالم، ابنة الفنانة الفلسطينية هيام عباس والمسرحي الجزائري زين الدين سوالم، مخرجة وممثلة فرنسية – فلسطينية – جزائرية، بعد دراسة التاريخ والعلوم السياسية في جامعة السوربون، بدأت العمل مبرمجة في المهرجان الدولي لأفلام حقوق الإنسان في بوينس آيرس. تم عرض الفيلم الوثائقي الطويل الأول للينا لأول مرة في الجزائر في المهرجان السينمائي الدولي 2020.

حصلت الجزائر على جائزة السينما الأولى في المهرجان الدولي لفيلم البحر الأبيض المتوسط، وجائزة أفضل فيلم وثائقي عربي في مهرجان الجونة السينمائي، مثلت لينا في ثلاثة أفلام روائية من إخراج حفصية حرزي وهيام عباس وريحانا. تعمل حاليا كمؤلفة في الأفلام الخيالية والأفلام الوثائقية والمسلسلات التلفزيونية، وعن زيارتها لطبريا قالت المخرجة لينا سوالم إنها كانت تذهب في طفولتها وانقطعت عن الزيارة، لكنها عادت تزورها مرة أخرى عند إنجاز الفيلم، وإن جدتها دوما عند الوصول إلى طبريا تبدأ في البكاء، وتتذكر تفاصيل حياتها الماضية في المدينة لذلك كان من المهم أن تصور ردود أفعالها لكي تستعيد ذكرياتها بالمكان.

وتقول لينا ساخرة "وكلّما نظرت إلى أرشيف الصور الضخم الذي تحتفظ به، وأشاهد وجه جدّتي وجدّة أمّي ووجهها هي قبل 30 سنة، أحاول أن أتخيّل ما الذي كنت سأحصل عليه، إذا ما وُلدتُ هناك وعشتُ في ذات الظروف، ربّما كانت حياتي ستأخذ منحى آخر لذا كان مهمّا للغاية أن أترابط مع قصّة حياتها".

يستكشف "باي باي طبريا" دور الذاكرة الجماعية في نقل تراث المرء. تضحك الأخوات بفرح اللقاء وينظرن بأسى إلى الوراء إلى والدتهن الراحلة وأبيهن، اللذين يظهران في العديد من مقاطع الفيديو العائلية التي توثقها المخرجة لينا سوالم من خلال الفيلم. ينقل الفيلم صدى قصص مرونة الأخوات، وكذلك قصص والدة هيام عباس وجدتها. غالبا ما تجد المخرجة سوالم نفسها عائدة إلى صور بحر الجليل حيث جلبتها الإجازات العائلية على الرغم من طرد أجدادها من طبريا في عام 1948.

بغض النظر عن المكان الذي قد يقود إلى الحديث عن التاريخ أو السياسة أو الطموحات المهنية أو إلى تشتت العائلة، على الرغم من ذلك، يمكن للشخصية الرئيسية الممثلة هيام عباس دائما العثور على بوصلتها في دير حنا. إنها تعرف أي طريق هو الأردن وأي طريق هو لبنان، وأي أفراد الأسرة مشتتون بين تلك الحدود. تستكشف المخرجة حكمة والدتها البدوية، وتتتبع الرحلات وتجد نفسها على خطى النساء اللواتي سبقنها. إنه استكشاف لانتقال الذاكرة والفضاء والدراية والأنوثة والمقاومة. إنها رحلة عبر الحياة المختلفة للنساء الفلسطينيات اللواتي أصبح تجريدهن من ممتلكاتهن هو القاعدة.

الفيلم مؤثر بشكل كبير، سواء في لقطات الممثلة هيام الشابة التي تبدو متألمة في حفل زفاف عائلي، أو بعد سنوات، عندما تتذكر مقابلة عمتها حسنية في مخيم للاجئين السوريين. تعرفت حسنية على الفور على "رائحة العائلة" التي حرمت من الوصول إليها منذ فترة طويلة.

لا يلعب الرجال داخل عائلة سوالم أي دور في "باي باي طبريا"، ولا يتم ذكرهم إلا بشكل عابر. رغم أنها في شريطها الأول، "في الجزائر" تسرد لينا سوالم قصة والدها (الممثل زين الدين سوالم) وقصة أجدادها من أبويها. لذلك على الرغم من أنها لا تعطي وقتا للشاشة لوالدها في فيلمها الوثائقي الجديد، إلا أنها تقدم الامتنان للرجل الذي كان يحمل الكاميرا في الكثير من الأحيان والتي سجلت اللحظات المؤثرة من طفولتها. وحسب تصريح المخرجة لينا "أرادت أن تحكي قصة شعب جرد من حقوقه ويواجه النزوح والاحتلال والتجريد والمذبحة"، مضيفة "وعلى الرغم من كل شيء تمكنت النساء الفلسطينيات من نقل قيم الحب والكرم والتسامح والاحترام إلى أطفالهن".

حيث تتشابك الحميمية مع اضطرابات التاريخ

المخرجة تعرض قصص شريحة من النساء الفلسطينيات في عائلتها لتكشف نضالاتهن والشعور بقوتهن والحداد على خسائرهن

النساء ينقلن ذاكرة الأماكن

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

الذكاء الاصطناعي يخطف الأنظار في المهرجانات السينمائية

صاندانس السينمائي يستعرض التطور التقني في أفلامه المرتقبة

رغم أن الذكاء الاصطناعي شكّل أحد أسباب إضراب شل الإنتاجات في هوليوود لأشهر وتسبب في خسائر فادحة للاقتصاد الأميركي، فإنه يحل اليوم ضيفا بأحد أبرز المهرجانات السينمائية الأميركية بل وموضوعا محوريا ضمن فعاليات هذا الحدث، وهو ما قد يعزز مخاوف أهل القطاع من أن تحل هذه التكنولوجيا محلهم.

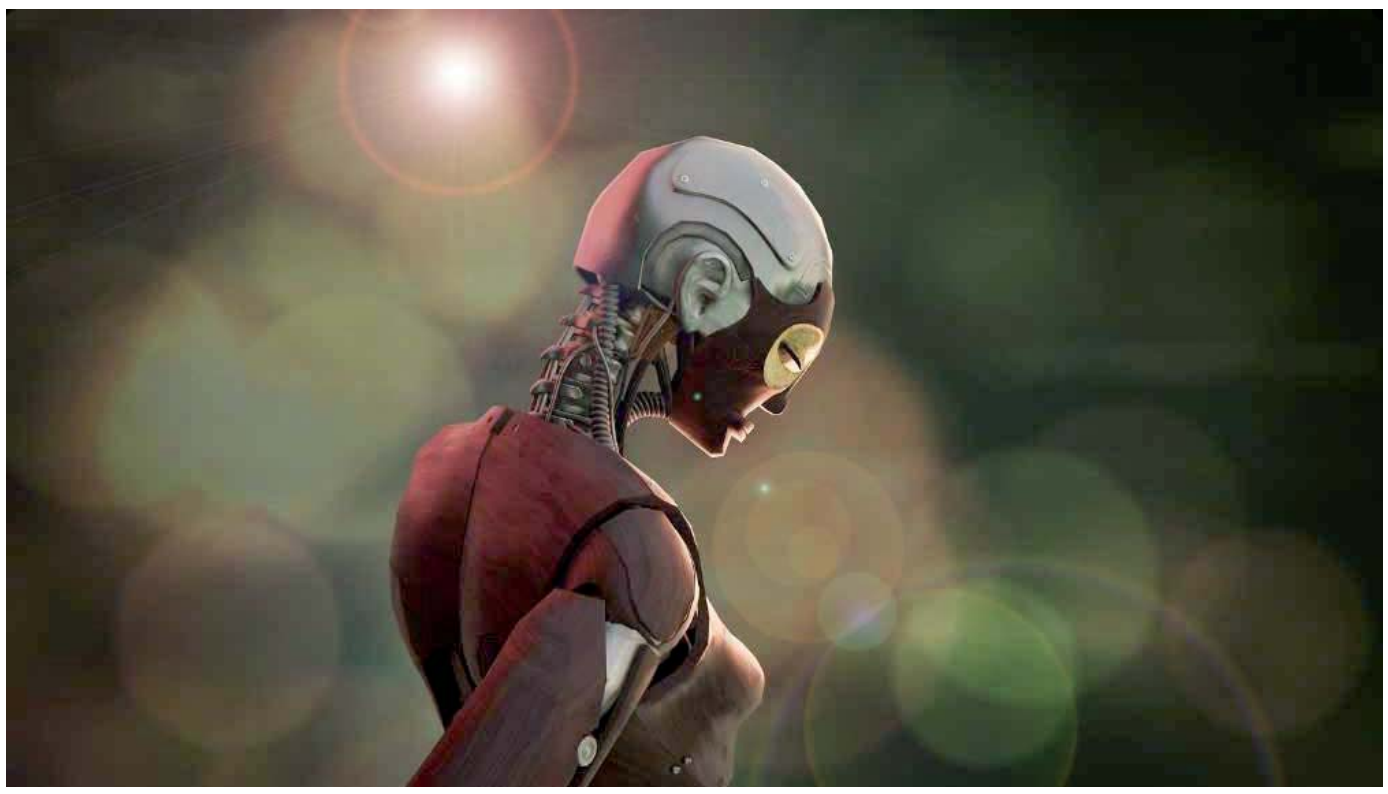

ما دور الفنانين في المشهد التكنولوجي سريع التغير؟

لوس أنجلس (الولايات المتحدة) - يستضيف مهرجان صاندانس السينمائي المرتقب في يناير المقبل الذكاء الاصطناعي، حيث سيُسلط الضوء عليه كتكنولوجيا وموضوع محوري في هذا الحدث الذي سيشهد حضور كوكبة من النجوم أبرزهم كريستين ستيوارت وجيسي أيزنبرغ.

وقال منظمو المهرجان في تدوينة على إنستغرام إن دورة هذا العام ستركز على "الصعود القوي للذكاء الاصطناعي، ودور الفنانين في المشهد التكنولوجي سريع التغير".

ويتضمن برنامج مهرجان السينما المستقلة فيلما موسيقيا توليديا يظهر بنسخ مختلفة في كل مرة يُعرض فيها، وأفلاما وثائقية عن أشخاص رغبوا في استخدام الذكاء الاصطناعي للتواصل مع أحبائهم بعد الموت.

كيم يوتاني

الذكاء الاصطناعي أحد المواضيع المثيرة للاهتمام في مهرجان

يوغين هيرناندیس

لن تكون أي نسخة مشابهة للأخرى في فيلم «إينو»

وسيكون "الذكاء الاصطناعي أحد المواضيع المثيرة للاهتمام في مهرجان هذه السنة"، بحسب تأكيد مديرة البرامج كيم يوتاني، مضيفة "دُهشنا خلال التحضيرات للمهرجان بأنّ هذا الموضوع ظهر بصورة كبيرة في الأفلام وضمن مناقشاتنا".

وكانت هذه التكنولوجيا الحاضرة أصلاً في المجال السينمائي، من أبرز المسائل التي عارض استخدامها الكبير وأخطارها كتاب السيناريو والممثلون خلال إضرابهم الذي شلّ القطاعين السينمائي والتلفزيوني في هوليوود لأشهر عدة.

ومثّل الذكاء الاصطناعي أحد الأسباب التي أعطت الإضراب الذي شل الإنتاجات في هوليوود طابعا وجوديا، فبالإضافة إلى مسألة تقاسم الإيرادات المرتبطة بالبث التدفقي بصورة أفضل، شكّل وضع ضمانات لتنظيم استخدام الذكاء الاصطناعي وضبطه نقطة رئيسية في المفاوضات.

وبات الممثلون يخشون من أن يحلّ الذكاء الاصطناعي محلهم، لاسيما من الذين يقومون بتأدية المشاهد الخطرة، حيث صارت الأستوديوهات تطلب راهنا من مؤدي المشاهد الخطرة الخضوع "لعمليات مسح" أثناء تصوير العمل، بهدف ابتكار نماذج من صورهم ثلاثية الأبعاد، من دون أن توفّر لهم تفسيرات في شأن كيفية استخدام صورهم.

ومع تقدم الذكاء الاصطناعي، يمكن استخدام هذه الصور المبتكرة لإنشاء "نسخ رقمية" واقعية جدا لهؤلاء الأشخاص، قادرة على تنفيذ حركات وإجراء حوارات استنادا إلى تعليمات يتلقاها الجهاز.

وسيظهر ذلك خلال المهرجان الذي يُقام سنويا في بارك سيتي في جبال ولاية يوتا غرب الولايات المتحدة، حيث سيكون من بين الأفلام التي ستعرض فيلم "إينو" الذي يتناول مسيرة الموسيقي براين إينو بفضل محرك توليدي يوفّر عددا كبيرا جدا من نسخ العمل، من خلال تجميع مئات المشاهد المتوافرة.

وشدد المدير الجديد للمهرجان يوجين هيرناندیس على أنه "لن تكون أي نسخة مشابهة للأخرى.. إنها مسألة جديدة".

ويأتي تسليط الأضواء في مهرجان سينمائي على الذكاء الاصطناعي وتقنياته ليعزز التوجه الذي انساق فيه عدد من منتجي الأفلام في السنوات الأخيرة، حيث بات استخدام التكنولوجيا الحديثة والذكاء الاصطناعي في إنتاج وتصوير الأعمال السينمائية أمرا دارجا، ما فتح الأبواب على سينما جديدة وطرق تعامل مختلفة.

وهناك الكثير من الطرق التي يمكن من خلالها استخدام الذكاء الاصطناعي في صناعة السينما من الألف إلى الياء، أي في مراحل ما قبل الإنتاج وأثناء الإنتاج وحتى مرحلة ما بعد الإنتاج.

ومن أجواء الذكاء الاصطناعي أيضا، يشهد المهرجان عرضا لـ"لوف ماشينا"، وهو وثائقي يتناول جهود زوجين لإدامة حبّهما بعد وفاتهما عبر نقل وعيهما إلى روبوت اسمه "بينا 48". أما فيلم "إيتيرنل يو" فيتناول شركات ناشئة ترغب في إنشاء صور رمزية "أفاتار" يمكن للأشخاص استخدامها ليواصلوا تواصلهم مع أحبائهم بعد وفاتهم. ويعكس فيلم "إيتيرنل يو" التوجه الجديد لعدد من الشركات الناشئة والتي تعمل على إتاحة إمكانية بقاء زبائنها على اتصال افتراضي مع أشخاص فارقوا الحياة بالاعتماد على الذكاء الاصطناعي.

أما في الصين فتقدم شركات متخصصة في تنظيم الجنازات إمكانية التفاعل افتراضيا مع الأشخاص المتوفين أثناء جنازاتهم بالاستعانة بالذكاء الاصطناعي، ومع ذلك فإن هذا المجال لا يزال يلفه غموض كبير ويثير تساؤلات كثيرة تطرحها غالبا الأعمال السينمائية بحبكة أقرب إلى سينما الخيال العلمي.

واختير حوالي 90 عملاً سينمائياً ضمن هذه الدورة من مهرجان صاندانس السينمائي التي تُقام بين 18 و28 يناير المقبل، 85 منها سيشهد عرضاً أوّل على المستوى العالمي.

ومن بين هذه الأعمال فيلمان تشارك فيهما الممثلة كريستين ستيوارت، وتتوقع يوتاني أن يكونا "من أكثر الأفلام التي ستحدث ضجة خلال المهرجان".

وتؤدي ستيوارت دور البطولة في فيلم "لوف مي" الذي أشير إلى أنه قصة حب "بين عوّامة وقمر اصطناعي" في عالم ما بعد البشر. وفي فيلم "لوف لايز بليدينغ" تؤدي نجمة "توايلايت" دور مديرة صالة رياضية تسوء علاقتها مع لاعبة كمال أجسام لها ميول جنسية مزدوجة.

وتقول يوتاني مازحةً لوكالة فرانس برس "لن أدلي بالمزيد. هذا كل ما نعرفه عن الفيلم قبل عرضه".

ويظهر جيسي أيزنبرغ في فيلمين أيضا، إذ يُخرج ويمثّل في "إيه ريل باين"، ويؤدي أحد الأدوار في "ساسكواتش سانسيت". وتظهر في العملين تطورات عن روابط عائلية. وفي فيلم "ذي أوت رَن" تؤدي الممثلة الأيرلندية – الأميركية سيرشا رونان دور مدمنة كحول تغادر لندن لتستقر في جزر أوركني الأسكتلندية، حتى تتعافى.

وسيحضر المخرج ريتشارد لينكلاتر لمواكبة عرض "هيت مان"، وهو فيلم يتناول قصة أستاذ رصين يتحوّل إلى قاتل مأجور، ومسلسل "غاد سايف تكساس" الوثائقي الذي يصوّر مسقط رأسه هانتسفيل الذي يضم سجنا كبيرا.

ويعتبر المهرجان منذ تأسيسه في العام 1978 المكان الأولي الذي يعرض فيه أيّ عمل سينمائي حر سواء من الولايات المتحدة، أو من باقي أنحاء العالم.

يشار إلى أنه كان يعرض في دورته الأولى أفلاما أميركية خالصة، تماشيا مع أهداف إقامته التي كانت ترمي إلى جذب منتجي الأفلام إلى ولاية يوتا، علما أن تسميته الأولى كانت مهرجان الفيلم الأميركي قبل أن تتغير عدة مرات وتستقر في مهرجان صاندانس السينمائي.

فنانون عالميون ينفتحون على «فنون الذكاء الاصطناعي» في المغرب

الدار البيضاء - يجتمع فنانون محليون وعالميون بمدينة الدار البيضاء وذلك في إطار الدورة الأولى من معرض "فنون الذكاء الاصطناعي" والتي انطلقت في التاسع من ديسمبر الحالي، حتى يعرضوا أعمال فنية أنجزوها بمساعدة تقنيات الذكاء الاصطناعي.

ويطرح المعرض الذي يستمر إلى غاية الحادي والثلاثين من ديسمبر وينتظم بمركز الفنون الأميركي فرص استكشاف الإمكانات الجديدة المتاحة للإبداع الفني بفضل الذكاء الاصطناعي.

وأوضح منظمو المعرض خلال لقاء صحفي لتقديم هذا الحدث الفني المنظم من طرف مختبر الفنون أوفوتو تحت رعاية وزارة الشباب والثقافة والتواصل، أن المعرض يمزج بين الفن المعاصر، بما في ذلك التصوير الفوتوغرافي والفيديو والفن الرقمي، والتقنيات الرقمية المتطورة والذكاء الاصطناعي، كما يفتح آفاقا مبتكرة في الإبداع والتعبير الفني.

استكشاف للإمكانات الجديدة

ويهدف المعرض إلى "إشراك الجمهور بشكل نشط، وتحويله إلى مشارك تفاعلي، من خلال تمكينه من استكشاف فضوله مع خلق روابط شخصية مع الأعمال من خلال الذكاء الاصطناعي"، وفق القيم على المعرض حميد الأخضر.

وكشف الأخضر في تصريح لوكالة المغرب العربي أن الدورة الأولى ستجمع فنانين محليين ودوليين معروفين، يدمجون الذكاء الاصطناعي في أعمالهم الفنية.

ويتميز المعرض بمشاركة عدد من الفنانين المغاربة، بينهم على الخصوص، كريستيان مأمون، إدريس الكرناشي، وليد بندرا، مهدي الصفريوي، معاد أبوالهنا، وياسر رمزي.

ولفت المصور الفوتوغرافي مهدي الصفريوي، وهو أيضا قيم على المعرض، إلى أن "هؤلاء الفنانين يقدمون سلسلة من الإبداعات التي تهدف إلى إعادة الاشتغال على الخيال المغربي، بعيدا عن الكليشيهات والأفكار الاختزالية المنقولة عن رؤية غربية حول هويتنا".

ويضم المعرض فنانين هولنديين مشهورين على غرار لويز تي بويل، رودجر ويرخوفن المدير الإبداعي المستقل في أوبن أيه آي، أرنو كوينين المعروف بأعماله الضخمة في الأماكن العامة.

كما سيتمكن الجمهور من خلال المعرض من اكتشاف أعمال فنية متميزة تحت عنوان "عجائب الدنيا السبع" للمجموعة الفرنسية Obvious المعروفة بدمجها المبتكر للذكاء الاصطناعي والواقع المعزز.

يشار إلى أن مشروع معرض فنون الذكاء الاصطناعي حصل على المرتبة الأولى من بين 331 مشروعا من قبل لجنة دعم الفنون التشكيلية والبصرية التابعة لوزارة الشباب والثقافة والتواصل.

ويروم المعرض أن يشكل منتدى للتفكير في الإمكانيات اللامحدودة للذكاء الاصطناعي في الفن ومنصة للحوار حول الآثار الأخلاقية والجمالية والفلسفية.

> **المعرض في دورته الأولى يمزج بين الفن المعاصر والتقنيات الرقمية المتطورة والذكاء الاصطناعي**

وقد استضافت مدينة الدار البيضاء في نوفمبر الماضي فنانين عالميين من مختلف الجنسيات، وذلك في إطار الدورة التاسعة والعشرين للمهرجان الدولي لفن الفيديو تحت شعار "من شريط الفيديو إلى الذكاء الاصطناعي".

وحملت الأعمال التي عرضت بفضاء الفن لمركز الفن الأميركي خلال الفترة الممتدة من 7 إلى 11 نوفمبر الماضي، توقيعات فنانين معاصرين مغاربة وسوريين وكنديين وفرنسيين وإسبان، من الذين استخدموا تقنيات مبتكرة لمعالجة مواضيع راهنة.

كما أن المهرجان يقترح إبداعات فنية منفتحة على جميع أشكال الإبداع الرقمي، يعرض غالبها لأول مرة، وتمثل: الرقص والفنون الرقمية، والواقع الافتراضي والمعزز، والتنصيبات التفاعلية، والعروض السمعية البصرية، والمابينغ والروبوتيك.

الخبراء يحاولون جعل الذكاء الاصطناعي ينسى ما تعلمه

باريس - عندما اكتشف براين هود أن تشات جي بي تي نسب إليه ماضيا إجراميا، وجد هذا السياسي الأسترالي نفسه في مواجهة معضلة ينكبّ المهندسون جاهدين على محاولة حلّها، وتتمثل في كيفية تعليم الذكاء محوَ الأخطاء.

فالخيار القانوني المتمثل في تلويح براين هود في أبريل الماضي برفع دعوى تشهير على شركة أوبن إيه آي منشئة تشات جي بي تي لا يبدو حلاً مناسبا، كذلك لا يكمن الحلّ في إعادة ضبط معايير الذكاء الاصطناعي بالكامل، إذ أن تدريب النموذج مجددا يستغرق وقتا طويلاً وهو مكلف جدا.

ويرى المختصون أن مسألة "إلغاء التعلّم" أي جعل الذكاء الاصطناعي ينسى بعض ما تلقّنه، ستكون بالغة الأهمية في السنوات المقبلة، وخصوصا في ضوء التشريعات الأوروبية لحماية البيانات.

وتؤكد أستاذة علوم المعلومات في جامعة "آر إم آي تي" في ملبورن ليسا غيفن أن "القدرة على محو البيانات الموجودة في قواعد بيانات التعلّم هي موضوع مهم جدا"، لكنها ترى أن جهدا كبيرا لا يزال مطلوبا في هذا المجال نظرا إلى النقص الحالي في المعرفة بشأن كيفية عمل الذكاء الاصطناعي.

ففي ظل الكم الهائل من البيانات التي يُدرَّب الذكاء الاصطناعي عليها يسعى المهندسون إلى حلول تتيح تحديدا أكبر، بحيث تُزال المعلومات الخاطئة من مجال معرفة أنظمة الذكاء الاصطناعي بغية وقف انتشارها.

وأوضح الباحث الخبير في هذا المجال مقداد كرمانجي من جامعة واروِيك البريطانية، لوكالة فرانس برس، أن الموضوع اكتسب زخما خلال السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة.

وعملت غوغل ديب مايند المتخصصة في الذكاء الاصطناعي على معالجة هذه المشكلة، إذ نشر خبراء من الشركة الأميركية الشهر الماضي مع كورمانجي خوارزمية مخصصة لمحو البيانات في نماذج لغوية مهمة، كنموذجَي تشات جي بي تي وبارد من غوغل.

وانكبّ أكثر من ألف خبير شاركوا في مسابقة أطلقتها الشركة الأميركية على العمل ما بين يوليو وسبتمبر لتحسين أساليب "إلغاء تعلّم" الذكاء الاصطناعي.

وتتمثل الطريقة المستخدمة المشابهة لما توصلت إليه أبحاث أخرى في هذا المجال في إدخال خوارزمية تأمر الذكاء الاصطناعي بعدم أخذ بعض المعلومات المكتسبة في الاعتبار، ولا تتضمن تعديل قاعدة البيانات.

ولفت كورمانجي إلى أن الخوارزمية التي تم التوصل إليها أثبتت فاعليتها أيضا في إزالة المحتوى المحميّ بموجب حقوق المؤلف أو في تصحيح بعض التحيزات.

> **مسألة إلغاء التعلم ستكون بالغة الأهمية في السنوات المقبلة، خصوصا في ضوء التشريعات الأوروبية لحماية البيانات**

لكنّ آخرين، كمسؤول الذكاء الاصطناعي في ميتا (فيسبوك وإنستغرام) يان لوكان، يبدون أقل اقتناعا بهذه الفاعلية.

ويوضح لوكان أنه لا يقول إن هذه الخوارزمية "غير مجدية أو غير مثيرة للاهتمام أو سيئة"، بل يرى أن "ثمة أولويات أخرى".

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

ممارسة الرياضة عند الإصابة بنزلة البرد خطر على الصحة

العدوى ترفع خطر الإصابة بالتهاب عضلة القلب

لا بد من الانتباه إلى الإشارات التي يصدرها الجسم

يؤكد خبراء الصحة أن ممارسة الرياضة أثناء الإصابة بنزلة برد يمكن أن تكون قاتلة، ذلك أنها تسبب التهاب عضلة القلب الذي يؤدي إلى خفقان القلب وعدم انتظام دقاته. ويضع الخبراء شروطا لممارسة الرياضة عند الإصابة بالزكام وعدم ارتفاع درجات حرارة الجسم، كأن تكون الأعراض كلها "فوق الرقبة"، مثل سيلان الأنف أو احتقانه أو العطاس أو التهاب الحلق البسيط.

أخن (ألمانيا) - حذر الدكتور إيفو جريبه من ممارسة الرياضة عند الإصابة بعدوى مثل نزلة البرد، حيث يرتفع حينئذ خطر الإصابة بالتهاب عضلة القلب، الذي يهدد الحياة.

وأوضح الممارس العام الألماني أن أعراض الإصابة بالتهاب عضلة القلب تتمثل في خفقان القلب وعدم انتظام ضربات القلب وألم في الصدر واحتباس الماء في الساقين.

وأضاف جريبه أن الإصابة بعدوى تستلزم الراحة التامة والتوقف عن ممارسة الرياضة، مع مراعاة عدم العودة إلى ممارستها إلا بعد زوال أعراض العدوى بنحو 10 أيام.

وأكد جريبه أن هذا الأمر ينطبق على العدوى الفايروسية (مثل نزلة البرد والأنفلونزا والهربس والحصبة) والعدوى البكتيرية (مثل التهاب اللوزتين والحمى القرمزية والدفتيريا وتسمم الدم) على حد سواء.

وعاة ما يمكن للشخص القيام بالأنشطة البدنية البسيطة إلى المتوسطة إذا كان مصابا بنزلة زكام عادية ولم ترتفع درجة حرارته. وربما يشعر بالتحسن بعد ممارسة التمارين الرياضية، إذ تساعد على فتح الممرات الأنفية وتخفيف احتقان الأنف بشكل مؤقت.

ويمكن اتباع الإرشادات التالية لممارسة التمارين الرياضية أثناء المرض:

● عادة ما يُسمح بممارسة التمارين البسيطة إلى المتوسطة إذا كانت الأعراض كلها "فوق الرقبة"، مثل سيلان الأنف أو احتقانه أو العطاس أو التهاب الحلق البسيط.

وينبغي الحرص على تقليل شدة التمارين ومدتها. فعلى سبيل المثال، يمكن المشي بدلا من الركض.

وإذا كانت المؤشرات والأعراض "أسفل الرقبة"، مثل احتقان الصدر أو السعال المتقطع أو اضطراب المعدة، فينبغي الامتناع عن ممارسة التمارين الرياضية.

● إذا كان الشخص مصابا بفايروس كوفيد – 19 أو غيره من الأمراض المعدية، فليمتنع عن ممارسة التمارين الرياضية مع الآخرين.

● يجب أن يتوقف عن ممارسة الرياضة إذا كان يعاني من الحمى أو الإرهاق أو الآلام المنتشرة بالعضلات.

وينبغي الانتباه إلى الإشارات التي يصدرها الجسم ليخبر الشخص عن حالته الصحية. والحرص على أخذ قسط من الراحة إذا شعر بالتعب. وينبغي أن يعلم أن عدم ممارسة التمارين الرياضية لأيام قليلة بسبب المرض لن يؤثر على أدائه. وسيتمكن من العودة إلى ممارسة الرياضة واستئناف روتينه المعتاد من التمارين تدريجيا فور أن يشعر بتحسن حالته الصحية. وإذا لم يكن متأكدا من أن حالته الصحية تسمح بممارسة الرياضة، فليستشر طبيبه أولا.

● إذا قرر ممارسة التمارين الرياضية أثناء فترة المرض، فليحرص على تقليل شدة التمارين ومدتها. والانتباه إلى أن ممارسة الرياضة بالكثافة المعتادة وهو مصاب بمرض أكثر حدة من نزلات الزكام البسيطة، قد تعرضه للإصابة أو لتفاقم مضاعفات المرض.

ويعد كل من السعال وسيلان الأنف والتهاب الحلق من إشارات ضعف جهاز المناعة. ويتساءل عدد من الخبراء هل أن ممارسة التمارين الرياضية عند الإصابة بنزلات البرد صحية أم أنه من الأفضل منح الجسم قسطا من الراحة.

وترى شركة التأمين الصحي الألمانية أن ذلك يعتمد بشكل أساسي على الأعراض التي تظهر عند الإصابة بنزلة البرد.

فعندما يشعر المرء بلياقة جيدة بشكل عام، يمكنه ممارسة التمارين الرياضية المعتدلة، لأن ذلك يعزز الدورة الدموية وتدفق الدم بالأغشية المخاطية، في الأنف مثلا. ومن الأفضل عدم تناول أي دواء في هذه الحالة.

> الإصابة بعدوى تستلزم الراحة التامة والتوقف عن ممارسة الرياضة، مع مراعاة عدم العودة إلى ممارستها إلا بعد زوال الأعراض

أما إذا كان المرء مصابا بالإنفلونزا، فقد تصبح ممارسة الرياضة أمرا خطيرا. ففي تلك الحالة، يعمل الجهاز المناعي بأقصى سرعة، ولا يمتلك الجسم وقتها احتياطات من القوة، للجري مثلا. ولذلك ينصح الخبراء بعدم ممارسة الرياضة عند الإصابة بالإنفلونزا أو نزلة البرد القوية، وعند الإصابة بالتهاب الحلق أو السعال أو الحمى.

فعند ممارسة الرياضة في هذه الحالات، يمكن أن تصبح الأعراض أكثر حدة وتستمر لفترة أطول، كما أن ذلك يزيد من خطر الإصابة بالتهاب الشعب الرئوية أو الالتهاب الرئوي، وقد يصل الأمر إلى التهاب عضلة القلب.

وعندما يصاب المرء بعدوى قوية، يحتاج الجسم إلى فترة راحة. وقبل استئناف ممارسة الرياضة، يجب ألا تكون هناك أي أعراض لمدة ثلاثة أيام. أما إذا كان يتناول المضادات الحيوية، فيجب الانتظار خمسة أيام بعد آخر جرعة قبل ممارسة الرياضة.

ويجب على المرء بالطبع ألا ينسى تناول الأطعمة الغنية بالفيتامينات، والتي تساعده على استرداد عافيته سريعا للعودة إلى ممارسة الرياضة.

وحذر اختصاصي الطب الرياضي الألماني يواخيم لاتش من ممارسة الرياضة عند الإصابة بنزلة برد لاسيما إذا كانت مصحوبة بارتفاع في درجة الحرارة، إذ قد تتسبب ممارسة الرياضة في هذه الحالة بالتعرض لمخاطر صحية جسيمة تهدد الحياة.

لذلك أوصى لاتش من الجامعة الرياضية الألمانية بمدينة كولونيا، قائلا إنه ينبغي أخذ فترة طويلة من الراحة، إذ لا تجوز العودة إلى ممارسة الرياضة من جديد إلا بعد مرور خمسة أيام على الأقل من عودة درجة الحرارة إلى المعدل الطبيعي.

وأوضح الطبيب أن ممارسة الرياضة عند الإصابة بنزلة برد قد تتسبب في الإصابة بعدوى بكتيرية شديدة تتطور إلى الإصابة بأمراض خطيرة، مثل الاتهاب الرئوي أو التهاب عضلة القلب أو التهاب غلاف القلب المعروف علميا باسم "التهاب التامور".

وأردف الطبيب "يمكن أن تؤدي أيضا إلى إلحاق أذى كبير بصحة المرء، فعلى سبيل المثال يمكن أن تؤدي مثل هذه الالتهابات بالقلب إلى الإصابة بقصور فيه بأسوأ الأحوال، الأمر الذي يستلزم إجراء جراحة فيه، كما أن هذه الأمراض قد تعرض حياة المريض للخطر".

وفي حال الإصابة بآلام في الحلق، شدد لاتش على ضرورة استشارة الطبيب أولا قبل ممارسة أي أنشطة رياضية، محذرا من أن الإصابة بالبكتيريا العقدية، التي قد تشكل خطورة كبيرة أيضا على القلب، قد تؤدي إلى حدوث ذبحة صدرية.

أما عند الإصابة بالإنفلونزا الناتجة عن فايروسات فأكد الطبيب لاتش أنه قلما يكون المريض قادرا من الأساس على ممارسة أي أنشطة رياضية، إذ عادة ما تتخذ الإصابة بفايروس الإنفلونزا مسارا مرضيا شديدا لا يتيح للمريض التفكير في ممارسة أي أنشطة رياضية.

النظام الغذائي النباتي يخفض الوزن خلال 8 أسابيع فقط

سان فرانسيسكو (الولايات المتحدة) - كشف بحث جديد أن نظاما غذائيا نباتيا ساهم في خفض الأنسولين وانخفاض الوزن وكذلك مستويات البروتين المرتبط بأمراض القلب والسكتة الدماغية في غضون شهرين فقط.

وتوفر النتائج المزيد من الأدلة لإظهار أن الأنظمة الغذائية النباتية ليست الخيار الأفضل للبيئة فحسب، بل يمكن أن تكون رائعة للأشخاص أيضا.

وقال كريستوفر غاردنر، عالم التغذية بجامعة ستانفورد، "بناء على هذه النتائج والتفكير في طول العمر، سيستفيد معظم الأشخاص من اتباع نظام غذائي يعتمد أكثر على النباتات".

وفي الدراسة، جنّد الباحثون 22 زوجا من التوائم المتطابقين، للتحكم في الاختلافات الجينية والتربية ونمط الحياة، وقسموا التوائم إلى مجموعتين، وتم تزويدهم بأنظمة غذائية صحية تحتوي على الخضار والبقوليات والفواكه والحبوب الكاملة والمكسرات والبذور.

وكان الاختلاف الوحيد هو أن واحدا من كل مجموعة استهلك أيضا ما يعتبر كمية صحية من اللحوم.

وخلال الأسابيع الأربعة الأولى من التجربة، قام أفراد كلا المجموعتين بإعداد وجبات طعام مُعدة خصيصا لوجبات الإفطار والغداء والعشاء، وتم تزويدهم بتعليمات صارمة حول الوجبات الخفيفة التي يمكن أن يتناولوها. وشملت: تجنب الأطعمة المصنعة والحفاظ على مجموعة متنوعة متوازنة من المجموعات الغذائية.

وبالنسبة للجزء الثاني من التجربة، كان على المشاركين مواصلة النظام الغذائي عن طريق التسوق والطهي لأنفسهم، لمدة أربعة أسابيع أخرى.

وفي حين تحسنت صحة القلب والأوعية الدموية لدى المشاركين في المجموعتين، إلا أن التوائم الذين اتبعوا النظام الغذائي النباتي شهدوا تحسينات أكبر. ولم يخفضوا نسبة الأنسولين أثناء الصيام بنسبة 20 في المئة فحسب، بل انخفضت لديهم أيضا مستويات كوليسترول البروتين الدهني منخفض الكثافة.

> النظام الغذائي النباتي يمكنه أن يمنح فوائد إضافية مثل زيادة بكتيريا الأمعاء، ما يبطئ الشيخوخة في الجسم

ويقوم هذا البروتين بنقل جزيئات الدهون حول الجسم، وتحديدا الكولسترول، ما يزيد من خطر الإصابة بأمراض القلب والأوعية الدموية.

ولاحظت الدراسة انخفاضا متوقعا في فيتامين "ب 12" أيضا.

ويمكن أن يكون الاعتماد على النباتات بشكل صارم أمرا محفوفا بالمخاطر عندما يتم القيام به بشكل غير صحيح، حيث يصبح من الصعب الحصول على بعض العناصر الغذائية المهمة مثل "ب 12" وغالبا ما يتم تشجيع الأشخاص الذين يتحولون إلى الأطعمة النباتية بالكامل، على تناول المكملات الغذائية لمواجهة هذا التأثير.

ويوضح غاردنر "يمكن للنظام الغذائي النباتي أن يمنح فوائد إضافية مثل زيادة بكتيريا الأمعاء وتقليل فقدان التيلومير، ما يبطئ الشيخوخة في الجسم. ولكن الأمر الأكثر أهمية من اتباع نظام نباتي صارم هو تضمين المزيد من الخضار في النظام الغذائي للأفراد".

وللنظام الغذائي النباتي فوائد عديدة على الصحة، فهو يساهم في تخفيض نسبة الكولسترول في الدم، وتخفيض ضغط الدم والتقليل من نسبة التعرض لأمراض القلب. من المعروف أن الغذاء النباتي، لكثرة توفر الألياف فيه، يساعد في تنظيم حركة الأمعاء، ويمنع حدوث الإمساك ويقلل من الإصابة بسرطان القولون. كذلك، هو يساعد في خسارة الوزن والمحافظة على قوام رشيق لأنه يُشعر بالشبع.

ولأن الغذاء النباتي غني بالخضار والفواكه، فهو يزود الجسم بالفيتامينات والمعادن الضرورية لصحة جيدة، لضمان مناعة قوية والحصول على بشرة طبيعية مشرقة.

الأنظمة الغذائية النباتية غنية بالألياف

ما الأفضل لصحتنا: النوم لسبع ساعات أم النوم في مواعيد ثابتة؟

لندن - وجدت دراسات عديدة، منذ فترة طويلة، أن النوم ما بين ست وثماني ساعات كل ليلة، يقلل من خطر الإصابة بمجموعة من الأمراض وقد يزيد من متوسط العمر الافتراضي.

ومن المثير للدهشة أن الأبحاث الحديثة تشير إلى أن الحفاظ على روتين نوم ثابت يمكن أن يكون أكثر فائدة من 7 ساعات نوم جيد ليلا يوميا.

ويوصي الدكتور كريس وينتر، طبيب الأعصاب وخبير النوم بالذهاب إلى السرير والاستيقاظ في نفس الوقت كل صباح.

ووجدت دراسة نشرت الشهر الماضي في مجلة "سليب" أن الحفاظ على روتين نوم منتظم يقلل من خطر الوفاة المبكرة بنسبة 20 في المئة.

وأشار الباحثون أيضا إلى أنه على الرغم من أهمية مقدار الوقت الذي نقضيه في النوم، إلا أن النوم الأقصر والأكثر انتظاما كان مرتبطا بانخفاض خطر الوفاة المبكرة مقارنة بالنوم لفترة أطول مع أوقات نوم غير منتظمة.

ويستخدم الدكتور وينتر مثال بعض عمال المناوبات الذين يتناوبون بانتظام بين نوبات النهار والنوبات الليلية، ما يؤدي إلى ذهابهم إلى الفراش في أوقات غير منتظمة.

ومع ذلك، فإن الذين يعملون باستمرار في نوبات ليلية سيكونون أقل عرضة لخطر المشاكل الصحية، لأن روتين نومهم منتظم.

وعلى مدار اليوم، ينتج الجسم هرمونات مثل الكورتيزول الذي ينظم التوتر، والسيروتونين الذي يتحكم في الحالة المزاجية.

وفي الشخص السليم، تصل مستويات الكورتيزول إلى ذروتها في الساعة 8 صباحا تقريبا، ما يوقظنا، وتنخفض إلى أدنى مستوياتها عند الساعة 3 صباحا في اليوم التالي، قبل أن ترتفع مرة أخرى إلى ذروتها بعد خمس ساعات.

ومن الناحية المثالية، سيتم تحفيز هذه الذروة عند الساعة 8 صباحا عن طريق التعرض لأشعة الشمس، إن لم يكن عن طريق المنبه. وعندما يحدث ذلك، ستبدأ الغدد الكظرية والدماغ في ضخ الأدرينالين.

وبعد الظهر، تبدأ مستويات الكورتيزول في الانخفاض المطرد. ويتباطأ التمثيل الغذائي، ويبدأ التعب. ويتحول السيروتونين تدريجيا إلى الميلاتونين، الذي يسبب النعاس.

ونظرا لأن النوم يتغير دائما بالنسبة للعاملين في المناوبات، فإن أجسامهم لا تستطيع تنظيم إنتاج الهرمونات بشكل صحيح، ما يؤدي إلى ضعف النوم، وصعوبة التركيز، ونقص الطاقة، وتقلب المزاج.

وبحسب الدكتور وينتر، فإنه ليس هناك داع للقلق إذا لم يتمكن الأشخاص من النوم في وقت نومهم المحدد لأن هذا أمر طبيعي.

وإذا ذهبوا للنوم في وقت متأخر من الليل، فلا ينبغي أن يأخذوا قيلولة طويلة لتعويض ذلك. فهذا قد يزيد من صعوبة النوم عندما يبدأ وقت النوم، وفقا للدكتور وينتر.

وتوصي مؤسسة النوم بالاسترخاء في نفس الوقت كل ليلة مع كتاب أو موسيقى أو حمام دافئ لتعويد الجسم على روتين ثابت.

ويقول الدكتور هانس غونتر فييس، رئيس المعهد الألماني لطب النوم، "مخطئ من يعتقد أن قلة النوم يمكن تعويضها لاحقا، فالأضرار الناجمة عن ذلك مباشرة ومستمرة مهما حاول الإنسان تداركها فيما بعد. وتكفي ليلة واحدة لا نحصل فيها على قسط واف من النوم لإحداث اضطرابات عصبية ونفسية، خاصة إذا كنّا نعمل في اليوم التالي".

ويضيف الخبير الألماني الذي ألف كتابا حول الموضوع بعنوان "النوم يحقق المعجزات"، بالقول إنه لا يمكن تحديد ذلك بالساعات، وإنما العامل المحدد هو الجينات، مما يعني أن كل واحد منّا عليه مراقبة جسده لاستخلاص عدد الساعات التي يحتاجها للنوم. ومع ذلك هناك معدل تقريبي يقدّر بـ7 ساعات من النوم للرجال، فيما تحتاج النساء إلى 20 دقيقة إضافية.

ويمكن أن تصبح قلة النوم أمرا خطرا. وينصح الخبراء مَن واجه مشاكل في النوم ثلاث مرات في الأسبوع ولمدة شهر، بالذهاب فورا إلى الطبيب.

قلة النوم تؤثر على الصحة

«دونية» المرأة منطلق لكل أشكال العنف ضد نساء كردستان

نساء يلجأن إلى حرق أنفسهن كتعبير عن الاحتجاج ضد المعاملة السيئة

أدى تجاهل مشكلة العنف ضد النساء من قبل سلطات كردستان العراق إلى ارتفاع نسبها بشكل كبير إضافة إلى نسب الاكتئاب والانتحار بين النساء والفتيات بغياب العدالة والقانون وتواطؤ الأحزاب السياسية مع القضاء المتساهل حيال قتل النساء.

حماية قانونية غائبة

أربيل - استفحلت ظاهرة انتحار النساء أو قتلهن حرقاً في إقليم كردستان العراق لأسباب اجتماعية ومادية، على رأسها العنف المسلط على النساء إذ تسجل السلطات حوادث يومية للاعتداء على الشقيقات والزوجات، بينما يتم التشكيك في هذه الحوادث بأن العديد منها جرائم قتل يتم التستر عليها والادعاء بأنها انتحار.

وكشفت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في حكومة كردستان هذا الأسبوع عن إحصائيات انتحار النساء في الإقليم، لافتة إلى أن محافظة السليمانية تتصدرها منذ عام 2017.

وتعد السليمانية الأكثر تسجيلا لحالات الانتحار بالحروق أغلبها تعود إلى نساء من فئات عمرية مختلفة، بالإضافة إلى حالات احتراق نتيجة حوادث عرضية مختلفة.

نيكار محمد مارف

تجاهل المشكلة من قبل السلطات قاد إلى ارتفاع كبير في نسبها

وتضمنت الإحصائية نسب الانتحار بين النساء في جميع محافظات الإقليم من 2017 إلى غاية الأشهر الستة الأولى من السنة الحالية.

وأفادت بأن "549 امرأة أقدمن على الانتحار في عموم محافظات الإقليم منذ عام 2017 إلى غاية الآن، حيث جاءت محافظة السليمانية في المقدمة بـ209 حالة، و160 حالة في أربيل، و133 حالة في دهوك، و38 حالة في إدارة كرميان، و9 حالات في حلبجة". وأضافت أن نسبة 38 في المئة من النساء اللواتي أقدمن على الانتحار في إقليم كردستان تتراوح أعمارهن بين 21 و30 عاما، أي ما يعني 317 امرأة من المجموع الكلي.

وقالت الوزارة في فعاليات المؤتمر التوعوي حول مناهضة العنف ضد المرأة إن المؤتمر جاء ضمن حملة الـ16 يوماً لمناهضة العنف ضد المرأة والأسرة في إقليم كردستان وقد جرت فيه مناقشة أسباب الانتحار وعوامله الاجتماعية والنفسية والاقتصادية.

تجاهل مستمر للمعاناة

مؤخرا أصدرت مديرة قسم التمريض في مستشفى السليمانية نيكار محمد مارف تحذيرا من تبعات استمرار تجاهل معاناة نساء كردستان اللواتي يتعرضن للتعنيف المنزلي المستمر الذي يدفعهن إلى "الانتحار عبر حرق أنفسهن".

ومارف التي اختارتها "بي.بي.سي" كواحدة من بين مئة امرأة كانت الأكثر تأثيرا عام 2022، أوضحت أن "المشكلة الأكبر التي تواجه النساء في إقليم كردستان العراق، هي غياب التعليم والتوعية الذي أدى إلى جهلهن بالطرق القانونية لحماية أنفسهن من عمليات التعنيف المنزلي والاستهداف، الأمر الذي قاد إلى انتشار وباء الانتحار عبر الحرق".

وأضافت أن نساء كردستان يلجأن إلى "حرق أنفسهن كتعبير عن الاحتجاج ضد المعاملة السيئة التي يتلقينها داخل الإقليم من قبل المجتمعات القبلية الكردية مع استمرار غياب الحماية القانونية لتلك الشريحة بسبب ابتعادها عن مراكز المدن وسيطرة القوات الأمنية".

وأشارت مارف إلى أن "تجاهل المشكلة من قبل السلطات قاد إلى ارتفاع نسبها بشكل كبير، حيث أعلنت اليونسكو في إحصائية أخيرة أن نسب العنف بناء على النوع الجندري ارتفعت في العراق بنسبة 125 بالمئة خلال عامي 2020 و2021"، بالإضافة إلى "ارتفاع مقلق في نسب الاكتئاب والانتحار بين النساء والفتيات".

ولفتت تقديرات "بي.بي.سي" حول عدد ضحايا الانتحار بسبب العنف المنزلي والضغط الاجتماعي في الإقليم إلى أنه "يصل إلى نحو عشرة آلاف امرأة قضت حرقا وانتحارا منذ حصول الإقليم على استقلاله السياسي عام 1991 حتى اليوم".

وأكدت مديرة قسم التمريض في تقرير للهيئة البريطانية أن "أوضاع النساء في تحسن بطيء مع استمرار الجهود لتوعيتهن بالحقوق القانونية والعمل على توفير الحماية لهن من خلال المنظمات".

وأكدت أن "نساء كردستان العراق "عانين من غياب العدالة لفترة طويلة، والآن بدأت جهود تصحيح ذلك المسار تحظى باهتمام دولي".

ويندد ناشطون في الإقليم منذ سنوات بختان النساء وعمليات التزويج القسري والعنف الممارس ضدّ النساء، في مجتمع محافظ.

وفي يونيو 2011 أقرّ برلمان إقليم كردستان قانوناً يجرّم ختان النساء والعنف الأسري. وفي القانون عقوبات تصل إلى حدّ السجن المؤبد لمرتكبي جرائم الشرف. ورحبت الأمم المتحدة بالقانون حينها معتبرةً أنه تقدّم ملحوظ بعد سنوات من المطالبات. لكن تطبيق هذا القانون يعرقله مناخ من الإفلات من العقاب والخشية من الأقاويل.

ويقول ناشطون إن الأجهزة الأمنية في أحداث قتل النساء لا تقوم بمثل ما تقوم به من إجراءات في قضايا قتل رجال. كما أن الكثير من قضايا قتل النساء لا تصل أصلاً إلى المحاكم وتعالج من خلال الصلح العشائري بين عائلة الرجل وعائلة الزوجة الضحية.

وتحوم الشكوك حول معظم حوادث انتحار النساء، وتقول شيلان حمه نوري، وهي باحثة اجتماعية وناشطة في مجال الجندر وحقوق المرأة، "الحكومة والمنظمات النسوية ومديرية مناهضة العنف ضد المرأة والأسرة توثق جرائم قتل النساء، ولكنني لا أعتبر التوثيق دقيقا".

«استنحار»

وتضيف "أحيانا تسجل الواقعة انتحارا، في حين أن معظم الحالات هي 'استنحار'، أي هناك إجبار وحضّ للمرأة على الانتحار، كما تقتل المرأة أحيانا بالشنق أو تحرق، وتسجل الواقعة انتحارا أو حادثة قضاء وقدر، وقد يكون السبب أحيانا عدم بذل جهد لمعرفة السبب الحقيقي للوفاة. ويتم الاكتفاء بأقوال شهود وهذا غير كاف وليس لدى الشرطة الوسائل والمعلومات الكافية لتقصي الحقيقة".

وعند وقوع كل جريمة قتل امرأة في كردستان يبرز سؤال "ماذا فعلت؟"، الأمر الذي يعتبره البعض أول الأدلة على نظرة عدائية متحيزة ضد المرأة، ومجتمع لا يعترف بحقها في الحرية والاختيار، إذ يبدو السؤال بحد ذاته بمثابة إقرار ضمني بأن تصرفات معينة تقدم عليها الأنثى قد تكون سببا لقتلها.

وأثارت قضية مقتل امرأة متحولة جنسياً في الإقليم الواقع في شمال العراق، والذي يقدّم نفسه على أنه ملاذ للاستقرار والتسامح، على يد شقيقها العائد من أوروبا الجدل على مواقع التواصل الاجتماعي مطلع فبراير الماضي، وموجةً من الكراهية تجاه الضحية. لكن القضية في الوقت نفسه دفعت كثيرين إلى الدفاع عن حقوق الأقليات.

اكتئاب وانتحار

وعادة ما ترفض عائلات ضحايا هذا النوع من الجرائم، والتي ترتكب بذريعة الدفاع عن الشرف، استلام جثثهن ودفنها بشكل لائق، وتدفن الضحايا في مقابر خاصة، وفي قبور من دون شواهد أو أسماء.

وبادر قوباد طالباني، نائب رئيس وزراء الإقليم، مؤخرا إلى وضع شواهد على قبور الضحايا، لكنها بدل أسمائهن كتبت عليها عبارة موحدة وهي "مثوى الحياة".

ووصف طالباني الخميس الماضي قتل المرأة بداعي الشرف أو تحت أي ذريعة أخرى بأنه "فعل شنيع، ويسيء" لسمعة الإقليم، مؤكدا على ضرورة تنفيذ القوانين الخاصة بمكافحة العنف ضد المرأة. جاء ذلك في كلمة ألقاها على هامش استضافته في أعمال المؤتمر الدولي الأول للمرأة تحت عنوان "المرأة في مرآة المجتمع والتاريخ" الذي انعقد في جامعة السليمانية.

وقال طالباني إنه "يتعين أن نبدأ بمكافحة فكر العنف ضد المرأة من البيت أولا، وبعده المدارس، ثم المؤسسات والدوائر الحكومية، وفي أماكن العمل، وفي البرلمان، وفي سوق العمل".

وأكد على ضرورة تعديل القوانين الخاصة بالعنف ضد المرأة، مستدركا "لكن الأهم من ذلك تنفيذ تلك القوانين".

وأردف أن "توعية المجتمع حول حقوق المرأة أمر مهم جداً وصعب في نفس الوقت، لأن هذا الأمر ليس كإصدار قرار أو قانون لذا علينا الاستمرار يومياً في توعية المجتمع والاهتمام بهذا الملف بشكل مستمر، وأن نتحدث عنه يوميا وعلى جميع شرائح المجتمع الاهتمام بملف حقوق النساء".

وتقول الناشطة شيلان حمه نوري إن الموروث الاجتماعي من الأسباب الرئيسية، فهو "ينظر إلى المرأة كجسد فقط، ويعتبرها رمزا لشرف القبيلة والعائلة، وهو شرف يختزل في غشاء البكارة".

نزعة ذكورية

كما تساهم في ذلك "النزعة الذكورية لدى بعض رجال الدين، حتى عندما يتعارض تفسيرهم مع الدين نفسه مثل ختان البنات وحرمان المرأة من الميراث والتعليم".

وتشير إلى أن "بعض الأحزاب الإسلامية المتطرفة تلعب دورا سلبيا"، وتعتبر أن مطالب الناشطات والجمعيات المدافعة عن المرأة "تتعارض مع الدين وتخل بالأخلاق، وهذه الأحزاب لديها خطابات تدين النساء الناشطات".

والعامل الآخر هو ضعف دور القانون، وتقول "عندما تلجأ المرأة إلى المحاكم، تصطدم بالبطء الشديد في الإجراءات إلى درجة أنها تتخلى عن حقوقها". وتضيف أنه رغم تعديل القانون بعد جهود من الناشطات، واعتبار قتل النساء بحجة الدفاع عن الشرف كالقتل العمد، فالمشكلة تكمن في صعوبة تقديم القاتل إلى العدالة، فهو أحيانا مجهول باتفاق مع العائلة أو العشيرة أو يلجأ إلى أحد المسؤولين أو أصحاب السلطة والنفوذ السياسي أو يهرب خارج البلاد، وهناك الكثير من جرائم قتل النساء التي لم يتم اعتقال مرتكبيها.

وترى شيلان أن دور وسائل الإعلام والتربية والتعليم "سلبي أكثر منه إيجابيا، وهي غالبا ما تعيد إنتاج الموروث الاجتماعي".

ويفتقر المجتمع إلى الوعي إذ مازال يؤمن، وبقوة، بدونية المرأة وعدم المساواة بينها وبين الرجل، والعقلية الدينية متجذرة في أبسط التفاصيل القانونية. أما التقصير في مكافحة هذه الجرائم فإنه يقع في المقام الأول على عاتق الجهازين الأمني والقضائي. وهذان الجهازان تحركهما أياد حزبية.

والمؤسسة الحزبية الحاكمة في كردستان لديها يد قوية داخل جميع مفاصل الدولة، وخصوصا القضاء. وبإمكان أي مسؤول حزبي صغير أن يغير مسار أكبر وأخطر قضية قتل أو فساد، خصوصا إذا كانت القضية قتل امرأة.

ولا يقتصر العنف ضد النساء على إقليم كردستان فقط، بل إن هذه الحالات موجودة في العراق عموماً. وقالت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسف) من جانبها إن حوادث العنف القائم على النوع الاجتماعي تخطت 22 ألف حالة.

وتشير المنظمة إلى أن هذه الحالات ترتبط "بزيادة حالات العنف القائم على النوع الاجتماعي في العنف الأسري"، لكن أيضاً "مع زيادة مقلقة في الاكتئاب والانتحار بين النساء والفتيات، ولاسيما بين الفئات الضعيفة مثل النازحين واللاجئين".

والمفارقة أن هناك شكاوى على الطرف الآخر من الرجال الذين يقولون إنهم يتعرضون للعنف على أيدي النساء، فقد صرح رئيس اتحاد رجال كردستان برهان علي فرج بأن الاتحاد وثق مئات حالات العنف التي مورست ضد الرجال من قبل النساء، وذلك في معرض بيانه لإحصائية سنوية لعام 2022.

وقال فرج، خلال مشاركته في برنامج لفضائية "كردستان 24"، إنه تم توثيق 534 حالة عنف ضد الرجال، بينها انتحار 65 رجلاً، ومقتل خمسة آخرين. وأضاف "سجلنا 534 شكوى وعنفا ضد الرجال في جميع فروع المنظمة، من بينها انتحار 65 رجلاً وقتل 5 رجال على يد زوجاتهم بمساعدة آخرين". وأوضح أن حالات الانتحار توزّعت وفق الآتي: السليمانية 26 حالة، أربيل 23 حالة، دهوك 8 حالات، بينما سجلت محافظة كركوك 6 حالات وحلبجة حالتين.

ومن إجمالي عدد الشكاوى وحالات العنف 213 حالة حضانة أطفال أو طلاق، و193 حالة تدخّل أقارب في مشاكل عائلية، و45 حالة خيانة زوجية، و37 حالة إخلاء رجل مسن، و12 حالة عنف نفسي وجنسي.

وتابع رئيس الاتحاد "كانت هناك تسع حالات عنف جسدي وثماني حالات حجز على الأجر"، مشيرا إلى أنه "سُجِّل شكلٌ جديد من أشكال العنف ضد الرجال هذا العام لم يسبق له مثيل، وهو التهديدات الإعلامية والإلكترونية والتشهير أو العنف على مواقع التواصل الاجتماعي، وعددها 17 حالة".

واتحاد رجال كردستان هو منظمة مدنية معنية بالدفاع عن حقوق الرجال في إقليم كردستان، مقرها محافظة السليمانية، وتحقّق في المشاكل التي يواجهها الرجال داخل الأسرة.

هناك إجبار وحضّ للمرأة على الانتحار، كما تقتل المرأة أحيانا بالشنق أو تحرق وتسجل الحادثة انتحارا

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

اتحاد جدة والأهلي المصري.. من يحقق الحلم العربي في مونديال الأندية

تجربة غاياردو المونديالية في الميزان وكولر ينتظر

تنتظر جماهير كرة القدم انطلاق بطولة كأس العالم للأندية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة من 12 إلى 22 ديسمبر الجاري، وتقام البطولة بمشاركة 7 أندية. وخلال النسخ السابقة تمكنت الأندية العربية من حصد 7 ميداليات، ما بين فضية وبرونزية، علما بأن مشاركاتها في البطولة بدأت عام 2000 عن طريق النصر السعودي والرجاء المغربي. ويستعد نادي الاتحاد السعودي للمشاركة في البطولة للمرة الثانية في تاريخه.

خبرة النجوم سلاح قوي لحصد التتويجات

الرياض - تستضيف السعودية منافسات كأس العالم للأندية، للمرة الأولى في تاريخها، وتسعى لتحقيق نجاح استثنائي على مستوى التنظيم، إضافة إلى نجاح آخر على الصعيد الرياضي. ويمثل اتحاد جدة البلد المضيف في هذه البطولة، باعتباره حامل لقب الدوري السعودي، حيث سيخوض المباراة الافتتاحية أمام أوكلاند النيوزيلندي، بعد غد الثلاثاء، على أمل الانتقال إلى ربع النهائي.

وسبق لاتحاد جدة أن شارك مرة وحيدة في كأس العالم للأندية، عندما حل في المركز الرابع بنسخة 2005 التي أقيمت في اليابان. ويتطلع ممثل الكرة السعودية إلى تجنب مصير ممثلي قطر في المونديال، حيث تعد الأخيرة الدولة الوحيدة التي فشل ممثلوها في بلوغ النهائي خلال استضافتها البطولة العالمية. وتاريخيا استضافت 5 دول منافسات كأس العالم للأندية، فقد احتضنت البرازيل البطولة في نسختها الأولى، عام 2000.

وآنذاك فاز كورينثيانز باللقب، بتغلبه على مواطنه فاسكو دا غاما بركلات الترجيح 4 – 3، بعد انتهاء الزمنين الأصلي والإضافي بالتعادل 0–0. أما اليابان فتحمل الرقم القياسي في عدد مرات استضافة البطولة (8 مرات)، بيد أن فريقا يابانيا وحيدا صعد إلى المباراة النهائية في هذه البطولات، وهو كاشيما أنتلرز الذي خسر النهائي بصعوبة بالغة أمام ريال مدريد بعد التمديد بنتيجة 4 – 2 في عام 2016. ومن جانبها استضافت الإمارات كأس العالم للأندية 5 مرات، وكتب العين تاريخا مشرفا للكرة الإماراتية، عندما بلغ المباراة النهائية في عام 2018، قبل أن يخسر أمام ريال مدريد أيضا 4 – 1.

وأقيمت البطولة في المغرب 3 مرات، ونجح الرجاء في بلوغ النهائي، لكنه عجز عن مجاراة بايرن ميونخ الذي انتصر 2 – 0. في المقابل استضافت قطر المونديال مرتين، دون أن ينجح أي فريق منها في التأهل إلى المباراة النهائية. فقد خسر السد في ربع نهائي نسخة 2019 أمام مونتيري المكسيكي 2 – 3، كما وصل الدحيل إلى الدور ذاته في نسخة 2020، قبل الهزيمة أمام الأهلي المصري 1 – 0.

وستشارك 7 أندية في كأس العالم للأندية 2023، وهي مانشستر سيتي الإنجليزي بطل دوري أبطال أوروبا، وفلومينينسي البرازيلي بطل كوبا ليبرتادوريس، والأهلي المصري بطل دوري أبطال أفريقيا، وكلوب ليون المكسيكي بطل الكونكاكاف، وأوراوا ريد دياموندز الياباني بطل دوري أبطال آسيا، وأوكلاند سيتي النيوزيلندي بطل أوقيانوسيا، والاتحاد السعودي بطل الدوري السعودي.

نقاط القوة

خلال مشاركته الأولى في نسخة 2005 تمكن "العميد" من الفوز على الأهلي المصري 1 – 0 في الدور التمهيدي، ليخرج بعدها في نصف النهائي على يد ساو باولو البرازيلي بطل كأس ليبرتادوريس بنتيجة 3 – 2، وفي مباراة تحديد أصحاب المركزين الثاني والثالث خسر الفريق السعودي 3 – 2 أمام فريق ديبورتيفو سابريسا الكوستاريكي بطل الكونكاكاف، ليحتل بذلك الاتحاد المركز الرابع. وأهم نقاط القوة التي سيعول عليها نادي الاتحاد السعودي لتقديم مشوار مميز في كأس العالم للأندية هي الخبرة الموجودة لبعض نجومه في هذه المسابقة، بالإضافة إلى خبرة مدربه الأرجنتيني مارسيلو غاياردو في "المونديباليتو".

ويعول "العميد" على خبرة نجومه في هذه المسابقة من أجل الذهاب بعيدا في المسابقة وتحقيق نتيجة أفضل من المركز الرابع الذي تحصل عليه في نسخة 2005. ويملك "النمور" في صفوفهم نجما كبيرا بقيمة الفرنسي كريم بنزيمة الذي فاز بمونديال الأندية 5 مرات مع ناديه السابق ريال مدريد الإسباني، ويحوز "الحكومة" على أرقام تهديفية جيدة في مونديال الأندية بتسجيله 4 أهداف في 9 لقاءات. وإلى جانب بنزيمة تتضمن تشكيلة الاتحاد اسم البرازيلي فابينيو الذي خاض "المونديباليتو" عام 2019، وتُوّج بلقبه مع ناديه السابق ليفربول الإنجليزي، وهو الأمر ذاته مع الفرنسي نغولو كانتي المتوج باللقب عام 2021 مع فريقه السابق تشيلسي الإنجليزي.

> أهم نقاط القوة التي سيعول عليها نادي الاتحاد السعودي هي خبرة مدربه الأرجنتيني مارسيلو غاياردو

وبين الخشبات الثلاث يضم الهلال حارسا صاحب خبرة واسعة وكبيرة، هو عبدالله المعيوف (36 عاما) الذي سبق له خوض كأس العالم للأندية مرتين مع ناديه السابق الهلال السعودي. لذلك ستكون خبرة هؤلاء اللاعبين أملا حقيقيًا لمشجعي الاتحاد من أجل تحقيق نتائج جيدة في كأس العالم للأندية 2023، والذهاب إلى أبعد نقطة في مجرياتها، ولم لا الفوز باللقب؟ باستغلال عاملي الأرض والجمهور.

ويملك الاتحاد تشكيلة قوية في الخطوط الثلاثة يمكنها تقديم مستويات راقية في كأس العالم للأندية، والبداية بمباراة الدور الأول أمام نادي أوكلاند سيتي التي يتحتم على "النمور" الفوز بها للعبور إلى الدور الثاني. وأعلن "العميد" الأربعاء قائمة تضم 23 لاعبا سيمثلون قميصه في مونديال الأندية، ومن بينهم 10 لاعبين أجانب، أبرزهم كريم بنزيمة ونغولو كانتي وفابينيو والبرتغالي جوتا والمغربي عبدالرزاق حمدالله والمصري أحمد حجازي.

ولدى المدرب الأرجنتيني مارسيلو غاياردو العديد من الخيارات التي يمكنه الاعتماد عليها في "المونديباليتو" بداية من حراسة المرمى التي تضم البرازيلي مارسيلو غروهي والسعودي عبدالله المعيوف، ومرورا بخط الدفاع بوجود أسماء مثل حجازي والإيطالي لويز فيليبي والسعوديين حسن كادش وأحمد بامسعود. وفي خط الوسط يمنح الثنائي فابينيو وكانتي التوازن لـ"العميد"، ويضاف إليهما البرازيلي إيغور كورنادو، أمّا خط الهجوم فهو بمثابة القوة الضاربة للاتحاد بوجود أسماء ثقيلة أمثال بنزيمة وحمدالله وجوتا والبرازيلي رومارينيو القادرين على زعزعة أي دفاع.

بالإضافة إلى امتلاكه لاعبين ذوي خبرات في المسابقة، يحوز نادي الاتحاد على المدرب مارسيلو غاياردو المتمرس في مسابقة كأس العالم للأندية بعدما قاد ناديه السابق ريفر بليت الأرجنتيني إلى المشاركة مرتين في هذه البطولة. وقاد غاياردو أو "نابليون" –مثلما يُلقّب– نادي ريفر بليت إلى الحصول على المركز الثاني في نسخة 2015 بعد خسارته النهائي أمام برشلونة الإسباني، فيما نال غاياردو مع الريفر المرتبة الثالثة في نسخة 2018 بعد التغلب على كاشيما أنتلرز الياباني في المباراة الترتيبية.

ويتجلى من خلال كل هذه البراهين أن نادي الاتحاد يملك كل المعطيات والوسائل التي تسمح له بتقديم نسخة مونديالية استثنائية، من لاعبين أصحاب خبرة إلى تشكيلة قوية ومدرب محنك يُحسِن إدارة الأمور في مسابقة مثل كأس العالم للأندية.

سجل تاريخي

قال إيغور كورنادو، لاعب اتحاد جدة، "إن الأخطاء تسببت في خسارة الفريق أمام ضمك". وأضاف كورنادو في تصريحات عقب نهاية اللقاء أن على فريقه نسيان تلك الخسارة والاستعداد لمونديال الأندية. ووعد كورنادو جماهير الفريق بالظهور بأفضل شكل ممكن في البطولة. من جانبه قال عمر هوساوي، مدافع الاتحاد، إنه يلتمس العذر من الجماهير بشأن عدم رضاها عن نتائج الفريق هذا الموسم، لافتًا إلى أن الاتحاد واجه العديد من الظروف الصعبة لاسيما على مستوى الإصابات.

أضاف هوساوي أن الإصابات جزء من كرة القدم، لكن الأمر أصعب في الفريق خاصة وأن الاتحاد لم يخض هذا الموسم أي مباراة بكامل نجومه. وأكد أن الاتحاد ستكون أمامه فرصة لتمثيل الكرة السعودية في مونديال الأندية، معربًا عن أمله في الظهور بمستوى يرضي الجماهير خلال البطولة. ويحتل الاتحاد المركز الرابع في الدوري السعودي برصيد 28 نقطة، وسيواجه أوكلاند سيتي النيوزيلندي في افتتاح مونديال الأندية يوم الثلاثاء المقبل.

وكانت الميدالية الأولى من نصيب الأهلي المصري عام 2006، حيث حصد بطل أفريقيا آنذاك الميدالية البرونزية، بعدما حل ثالثا خلف إنترناسيونال البطل وبرشلونة الوصيف. وحصد السد القطري الميدالية الثانية للعرب في مونديال الأندية عام 2011، حيث حقق الميدالية البرونزية أيضا بعد تتويج برشلونة بالميدالية الذهبية وسانتوس بالفضية.

تألق عالمي لافت

رهان الأرض والجمهور

ويعتبر الرجاء المغربي صاحب أهم وأكبر إنجاز عربي في مونديال الأندية، بعدما حقق فضية البطولة عام 2013، إثر خسارة المباراة النهائية أمام بايرن ميونخ. وعقب 5 سنوات عاد العين الإماراتي ليكرر إنجاز الرجاء ويضيف ميدالية رابعة إلى العرب في مونديال الأندية، بعد أن توج بفضية نسخة 2018، عقب خسارة النهائي أمام ريال مدريد.

وفي عام 2020 نجح الأهلي من جديد في تكرار ما حققه عام 2006، حيث حصد الميدالية البرونزية في البطولة التي أقيمت في قطر، بعد بايرن ميونخ البطل وتيجريس أونال الوصيف. وحقق الأهلي الميدالية الثالثة في تاريخ مشاركاته بالبطولة في العام التالي مباشرة 2021 بالإمارات، وكانت برونزية أيضا، حيث حل ثالثا بعد تشيلسي البطل وبالميراس الوصيف.

في عام 2022 بالمغرب تمكن الهلال السعودي من تحقيق الميدالية الفضية الثالثة للعرب في تاريخ مونديال الأندية، إثر الخسارة أمام ريال مدريد في المباراة النهائية. وبعد أيام قليلة ستنطلق نسخة 2023، وسيخوض الاتحاد مواجهة محتملة أمام الأهلي، حال تخطيه عقبة أوكلاند سيتي، فهل نرى الميدالية الذهبية لأول مرة على صدر العرب؟

إنجاز منتخب المغرب يلامس قمة المجد في حفل جوائز «كاف»

الركراكي ينافس على جائزة أفضل مدرب أفريقي

يتسلح المنتخب المغربي لكرة القدم بإنجازاته التي حققها في مونديال قطر 2022 لإحراز لقب أفضل منتخب أفريقي، في ما ينافس مديره الفني وليد الركراكي على لقب أفضل مدرب في القارة السمراء بعد مسيرة جيدة مع منتخب أسود الأطلس.

القاهرة - تستعد ثلاثة منتخبات أفريقية للدخول في سباق على جائزة الأفضل في العام الجاري 2023 خلال الحفل السنوي للاتحاد الأفريقي لكرة القدم الذي سيقام غدا الاثنين في مدينة مراكش المغربية.

وأعلن الاتحاد الأفريقي (كاف) في بيان رسمي عن اختصار القائمة النهائية لكافة جوائزه في 2023 حيث تنحسر المنافسة بين ثلاثة منتخبات هي المغرب والسنغال وغامبيا.

وأوضح "كاف" أن معيار الترشيح والتقييم لمختلف جوائزه بناء على التقييم الفردي والجماعي لأداء اللاعبين والأندية والمنتخبات خلال الفترة من نوفمبر 2022 حتى سبتمبر 2023.

ويبقى المنتخب المغربي هو المرشح الأبرز للفوز بهذه الجائزة بعد الإنجاز التاريخي الذي تحقق تحت قيادة مديره الفني الشاب وليد الركراكي خلال منافسات كأس العالم 2022 في قطر.

وفي مونديال قطر، كتب أسود الأطلس لأنفسهم إنجازا غير مسبوق بحلولهم في المركز الرابع، ليكون المنتخب المغربي أول منتخب عربي وأفريقي يحقق هذا الإنجاز في كأس العالم.

> أسود الأطلس أبهروا الجميع بإقصاء اللاعب كريستيانو رونالدو ورفاقه في دور الثمانية بالفوز على منتخب البرتغال

وقاد الركراكي المنتخب المغربي لتصدر مجموعته بعد تعادل سلبي أمام كرواتيا ثم فوزين على كندا بنتيجة 2 – 1 ثم بلجيكا 2 – 0، وواصل مفاجآته في الدور الثاني بإقصاء منتخب إسبانيا بطل العالم 2010 بعد اللجوء إلى ركلات الترجيح لانتهاء الوقتين الأصلي والإضافي بالتعادل السلبي.

كما أبهر أسود أطلس الجميع بإقصاء كريستيانو رونالدو ورفاقه في دور الثمانية بالفوز على منتخب البرتغال 1 – 0 قبل أن تتوقف مسيرته بالخسارة أمام حامل اللقب منتخب فرنسا 0 – 2 في الدور قبل النهائي وخسارة جديدة أمام كرواتيا بنتيجة 1 – 2 في مباراة تحديد المركزين الثالث والرابع.

وفي النصف الأول من العام الجاري 2023 خاض المنتخب المغربي ثلاث مباريات ودية، حقق خلالها أيضا فوزا بارزا على نظيره البرازيلي 2 – 1 في مارس الماضي.

وبفضل هذه النتائج قفز منتخب المغرب في تصنيف الفيفا حيث احتفظ بالمركز 11 خلال الفترة من ديسمبر 2022 حتى أبريل 2023 قبل أن يستقر في المركز 13 منذ سبتمبر الماضي.

ولمع أكثر من نجم مغربي في هذه المسيرة التاريخية مثل ياسين بونو الذي ترشح لجائزة أفضل حارس مرمى في العالم بحفل الكرة الذهبية، وكذلك أشرف حكيمي ظهير أيمن باريس سان جيرمان الذي يتنافس على جائزة أفضل لاعب في أفريقيا.

ويبدو وليد الركراكي المدير الفني للمنتخب المغربي الأقرب للتتويج بجائزة أفضل مدرب في أفريقيا ، لكن ذلك لا يقلل مطلقا من إنجازات منافسيه على الجائزة، الجزائري عبدالحق بن شيخة والسنغالي أليو سيسيه.

أما منتخب السنغال فيعد الفرس الثاني في سباق جائزة الأفضل، حيث نجح أيضا أسود التيرانغا في الصعود للدور الثاني من مونديال 2022 رغم البداية المخيبة للغاية في المجموعة الأولى.

وخسر المنتخب السنغالي مباراته الأولى أمام هولندا بهدفين دون رد، لكنه انتفض بفوزين متتاليين على قطر 2 – 1 والإكوادور 2 – 1، مما أوقعه في اختبار قوي في الدور الثاني أمام المنتخب الإنجليزي الذي حسم المواجهة لصالحه بنتيجة 3 – 0.

كما واصل أسود التيرانغا مسيرتهم القوية بنتائج قوية في التصفيات المؤهلة لكأس أمم أفريقيا، حيث تصدر مجموعته بسجل خال من الهزائم، حيث جمع 14 نقطة بعد أربعة انتصارات وتعادلين.

وبفضل هذه المسيرة القوية وصل منتخب السنغال إلى أفضل مركز له في تصنيف الفيفا (18) علما بأنه يستقر حاليا في المركز (20) منذ سبتمبر الماضي، كما ترشح مدربه آليو سيسيه لجائزة أفضل مدير فني في أفريقيا رفقة الركراكي وعبدالحق بن شيخة الذي قاد اتحاد الجزائر للفوز بثنائية كأس الكونفدرالية وكأس السوبر الأفريقي.

ولم يشارك منتخب غامبيا في كأس العالم الأخيرة 2022، لكن الفريق الملقب بالعقارب فرض نفسه بقوة على الساحة القارية بفضل تأهله لكأس الأمم الأفريقية للمرة الثانية على التوالي.

وفي المشاركة الأولى ببطولة كأس أمم أفريقيا 2022 بالكاميرون فجرت غامبيا مفاجأة كبيرة في مشاركتها الأولى بالتأهل للدور الثاني بحلولها وصيفا في المجموعة السادسة متفوقة على منتخب عريق بحجم منتخب تونس بطل أفريقيا في 2004.

وواصل منتخب غامبيا مسيرته الساحرة بإقصاء غينيا من الدور الثاني بالفوز بهدف قبل أن يودع البطولة بالخسارة 0 – 2 أمام الكاميرون.

ويدين منتخب غامبيا بهذه الطفرة لمدربه البلجيكي توم سينتفيت الذي حافظ على المسيرة الجيدة بتأهل جديد لكأس أمم أفريقيا 2024 بحلوله وصيفا في المجموعة السابعة خلف مالي، ومتفوقا على الكونغو وجنوب السودان.

وأنهى منتخب غامبيا العام الماضي في المركز 126 بتصنيف الفيفا لكنه حقق قفزة ملموسة حتى وصل إلى المركز 117 في أكتوبر الماضي، علما بأنه يتواجد حاليا في المركز 126.

كيريوس يغيب عن بطولة أستراليا المفتوحة للتنس

برلين - أعلن الأسترالي نيك كيريوس انسحابه من بطولة أستراليا المفتوحة للتنس التي تقام العام المقبل، وذلك للمرة الثانية على التوالي بسبب استمرار مشاكله مع الإصابة.

وأعلن اللاعب الأسترالي البالغ من العمر 28 عاما السبت إنه سيغيب عن البطولة التي تنطلق يوم 14 يناير المقبل.

وذكرت شبكة "سكاي سبورتس" في تقرير لها السبت أن كيريوس انسحب من أولى البطولات الأربع الكبرى، بداية العام الحالي، وغاب لخمسة أشهر بسبب خضوعه لجراحة في ركبته اليسرى.

وبعد ذلك غاب عن بطولة فرنسا المفتوحة بسبب إصابة في القدم، وانسحب من بطولة ويمبلدون بسبب مشكلة في أربطة المعصم والتي أجبرته أيضا على الغياب عن بطولة أميركا المفتوحة.

وقال كيريوس على منصة "أونلي فانز" على الإنترنت، التي انضم لها الجمعة "إنه وقت محزن للغاية بالنسبة إليّ، ولكنني لن أتمكن من المشاركة في بطولة أستراليا المفتوحة 2024".

وأضاف "بوضوح، هذا أمر محزن للغاية. لديّ ذكريات مذهلة هناك، وأريد العودة حقا للعب في أعلى مستوياتي وأن أقوم بهذا بشكل صحيح، وأحتاج إلى المزيد من الوقت".

وأردف "كنت قريبا للغاية من الفوز بلقب في البطولات الأربع الكبرى (غراند سلام). أريد أن أتأكد أن جسدي سيحصل على الوقت الذي يحتاجه لكي أعود، لذلك أرجوكم أن تتحملوني".

إصابة خطرة لإيرفينغ في دوري السلة الأميركي

واشنطن - أحرز لوكا دونتشيتش 32 نقطة وقدم 10 تمريرات حاسمة لزملائه كما سيطر على ست كرات مرتدة ليساعد فريقه دالاس مافريكس على الفوز على مضيفه بورتلاند تريل بليزرز 125 – 112 في دوري كرة السلة الأميركي للمحترفين في مباراة تعرض خلالها اللاعب كايري إيرفينغ لإصابة بليغة.

وأحرز دانتي أكسيوم لاعب دالاس أعلى عدد من النقاط خلال الموسم الحالي وهو 23 نقطة وقدم سبع تمريرات حاسمة لزملائه وعادل بذلك أكبر حصيلة له في الموسم.

وخرج نجم دالاس كايري إيرفينغ من المباراة بسبب إصابة في القدم اليمنى قبل ثلاث دقائق و49 ثانية من نهاية النصف الأول من المباراة.

وأحرز إيرفينغ 11 نقطة خلال مشاركته القصيرة في المباراة والتي استمرت 13 دقيقة فقط. وأسهم تيم هارداواي في فوز الضيوف بإحراز 20 نقطة.

وكان أنفيرني سيمونز أكبر مسجلي بورتلاند برصيد 30 نقطة كما قدم ثماني تمريرات حاسمة لزملائه.

وكانت هذه ثالث مباراة فقط يشارك فيها سيمونز مع فريقه خلال الموسم الحالي بعد أن غاب عن 18 مباراة بسبب إصابة في أحد أصابع اليد اليمنى.

وفي مواجهة أخرى أحرز فرانز فاجنر 27 نقطة وأضاف زميله باولو بانشيرو 24 نقطة ليقودا أورلاندو ماجيك للفوز 123 – 91 على ضيفه ديترويت بيستونز الذي خسر للمرة 19 على التوالي.

> لاعب كرة السلة كايري إيرفينغ أحرز 11 نقطة خلال مشاركته القصيرة في المباراة والتي استمرت 13 دقيقة فقط

وكان كيد كانينغهام صاحب أكبر حصيلة من النقاط بين لاعبي ديترويت وهي 21 نقطة بينما أضاف زميله كيليان هايز 16 نقطة.

وفي مباريات أخرى فاز فيلادلفيا سيفنتي سيكسرز على ضيفه أتلانتا هوكس 125 – 114 وفاز لوس أنجلس كليبرز خارج ملعبه على يوتا جاز 117 – 103.

اللجنة الأولمبية الدولية تسمح للرياضيين الروس والبيلاروس بالمشاركة تحت علم محايد

لوزان (سويسرا) - وضعت اللجنة الأولمبية الدولية الجمعة حدا لتسعة أشهر من الترقب بمنحها الضوء الأخضر للرياضيين الروس والبيلاروس للمشاركة تحت علم محايد في الألعاب الأولمبية الصيفية المقررة في باريس بشروط صارمة وصفتها روسيا بـ"التمييزية".

ووحدهم الرياضيون "الفرديون المحايدون" الذين تمكنوا من تجاوز التصفيات ولا يدعمون الحرب في أوكرانيا بشكل فعال، وليسوا متعاقدين مع الجيش أو وكالات الأمن القومي، يحق لهم المشاركة.

وقالت اللجنة الأولمبية الدولية في بيان إن "11 منهم يستوفون حاليا هذه المعايير، أي ثمانية من روسيا و3 من بيلاروس"، في ما ضمن أكثر من 60 رياضيا من أوكرانيا تأهلهم إلى الألعاب الأولمبية المقبلة المقررة في الفترة بين 26 يوليو و11 أغسطس المقبلين.

وأضاف البيان "قررت اللجنة التنفيذية في اللجنة الأولمبية الدولية أن الرياضيين المحايدين الفرديين الذين تأهلوا من خلال نظام تصفيات الاتحادات الدولية مخولون للمشاركة في دورة الألعاب الأولمبية باريس 2024".

وتابع "لن يتم رفع أيّ علم، والاستماع إلى أيّ نشيد، ونشر أي ألوان أو أي شيء آخر يتعلق بروسيا وبيلاروس خلال دورة الألعاب الأولمبية باريس 2024 في أي مكان رسمي أو أي حدث أولمبي".

وأضاف "لن تتم دعوة أيّ مسؤول حكومي أو أيّ مسؤول دولة روسي أو بيلاروسي أو حصول أيّ من هؤلاء على بطاقة اعتماد خلال الألعاب الأولمبية".

واستنكرت روسيا الشروط الصارمة للجنة الأولمبية الدولية ووصفتها بـ"التمييزية وتتعارض مع المبادئ الرياضية"، وذلك عبر تصريح لوزير الرياضة الروسي أوليغ ماتيتسين نقلاً عن وكالة تاس للأنباء.

لكنه مع ذلك، أوضح أن الرياضيين الروس الذين حصلوا على حق المشاركة في أولمبياد 2024 "سيشاركون على الأرجح".

وأضاف "نحن دائمًا ندعم رياضيينا، فهم رياضيونا، وأعضاء عائلتنا الرياضية".

وقال رئيس الاتحاد الدولي لألعاب القوى البريطاني سيباستيان كو مساء الجمعة إن الروس والبيلاروس "لن يشاركوا كمحايدين في مسابقات وسباقات ألعاب القوى"، مشددا على "الموقف الثابت" لتنظيم هذه الرياضة الأولمبية الرائدة.

وأضاف في مؤتمر صحفي على هامش اجتماع المجلس العالمي لألعاب القوى في موناكو "قد ترى بعض الرياضيين المحايدين من روسيا وبيلاروس في باريس، لكن الأمر لن يكون في ألعاب القوى".

> روسيا استنكرت الشروط الصارمة للجنة الأولمبية الدولية ووصفتها بـ«التمييزية وتتعارض مع المبادئ الرياضية»

وتابع "الموقف الذي اتخذته رياضتنا وتواصل اتخاذه لم يتغير. إنه موقف ثابت. إنه موقف اتخذه (المجلس العالمي لألعاب القوى)، وهو موقف أقره المجلس التنفيذي وفي مناسبتين عالميتين منفصلتين تمت الموافقة عليه بالإجماع تقريبا من قبل أسرة ألعاب القوى".

وبعد استبعادها للروس والبيلاروس من الرياضة العالمية في نهاية فبراير 2022، في أعقاب الغزو الروسي لأوكرانيا، قررت اللجنة الأولمبية الدولية على مرحلتين تنظيم عودتهم، موضحة في مناسبات عديدة أنه لا ينبغي للرياضيين "دفع ثمن تصرفات حكومتهم".

وفي مارس الماضي، أوصت اللجنة الأولمبية الدولية لأول مرة الاتحادات الدولية بإعادة الروس والبيلاروس إلى مسابقاتها تحت راية محايدة، مع تأجيل قرارها بشأن أولمبياد باريس 2024 وكذلك الألعاب الأولمبية الشتوية في ميلانو – كورتينا 2026 "إلى وقت مناسب".

ومنحت الهيئة الأولمبية نفسها وقتًا لتقييم إجراء المسابقات والتي اعتبرتها مرضية بشكل عام، ولرؤية تطور موقف الحكومة الأوكرانية التي طلبت أولاً من رياضييها مقاطعة أيّ حدث يشارك فيه الروس قبل تغيير موقفها في يوليو الماضي.

ومرة أخرى، أوضح وزير الرياضة الأوكراني المؤقت مارفي بيدنيي أنه لا يريد مشاركة الروس والبيلاروس في أولمبياد باريس، معتبرا أن علمهم المحايد "ملطخ بالدماء" ويخشى أن تخدم الرياضة "أغراضا دعائية عسكرية".

لكنه لم يهدد بالمقاطعة، في حين أعرب العديد من الرياضيين الأوكرانيين عن رغبتهم في مواجهة الروس والتغلب عليهم في ملاعب المنافسة.

غوارديولا يواجه تحديا صعبا للعودة إلى الانتصارات

لندن - يعتقد جوسيب بيب غوارديولا المدير الفني لفريق مانشستر سيتي الإنجليزي لكرة القدم أن فريقه يواجه تحديا للعودة إلى طريق الانتصارات، عندما يلتقي لوتون تاون اليوم الأحد.

وذكرت وكالة الأنباء البريطانية "بي. أيه.ميديا" أن مانشستر سيتي، حامل اللقب، فشل في تحقيق أي انتصار في أربع مباريات متتالية للمرة الأولى منذ عام 2017، وذلك بعد ثلاث تعادلات متتالية أمام تشيلسي، وليفربول، وتوتنهام وخسارة أمام أستون فيلا الأربعاء الماضي.

ويتوقع أن ينسى الفريق هذا عندما يحل ضيفا على لوتون تاون، الذي قدم في المباريات الأخيرة عروضا كبيرة، ويتوقع غوارديولا نفس الأمر في المباراة التي تجمعهما.

وقال مدرب مانشستر سيتي "يقومون بعمل جيد بطريقة اللعب التي يعتمدون عليها. أندية كبيرة مثل ليفربول وأرسنال عانت لكي تفوز على لوتون، لن يكون الأمر مختلفا بالنسبة إلينا".

وأضاف "ولكن في نفس الوقت، نحن جاهزون للتحدي. سنواصل العمل، هذا ما يجب علينا فعله".

وأردف "سنذهب إلى لوتون، سنتأقلم على الملعب، والفريق، وطريقة لعبهم. قاموا بأشياء جيدة للغاية ولكننا سنحاول فرض سيطرتنا وكسر ديناميكيتهم".

وأثار الأداء السيء لمانشستر سيتي في الآونة الأخيرة التعجب، حيث تساءل بعض المراقبين عن مدى تعطش الفريق لتحقيق الانتصارات ، أو ما إذا كانوا يشعرون بالرضا عن أنفسهم بعد النجاحات الأخيرة.

وحتى الآن، فإن هذه لأمور لا تقلق غوارديولا، الذي قاد الفريق للتتويج بخمسة ألقاب للدوري الإنجليزي الممتاز، بالإضافة إلى الفوز بلقب دوري أبطال أوروبا.

وقال المدرب الإسباني "عندما تفوز بالعديد من المباريات تصبح أفضل فريق في العالم، وعندما لا تفوز تصبح هناك كارثة. نعلم هذا. هذا أمر مبالغ فيه بعض الشيء إلى حد ما".

العرب
الأحد 2023/12/10
السنة 46 العدد 12979

تونس تحتفل بترسيم إرث ديرلانجي في ذاكرة العالم

سلمت اليونسكو تونس شهادة ترسيم الأرشيف الورقي الموسيقي للبارون ديرلانجي في سجل ذاكرة العالم للمنظمة، وهو ما يدعم الجهود التونسية المتواصلة للتعريف بالتراث المادي وغير المادي محليا ودوليا.

تونس - يحرص القائمون على تهيئة وصيانة قصر الرسام البارون رودولف ديرلانجي، الواقع فوق قمة هضبة سيدي بوسعيد شمال شرق تونس العاصمة، على المحافظة على أثار المستشرق الفرنسي بعد مرور نحو قرن من الزمان.

وأفضت تلك الجهود إلى إعلان منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)، في مايو الماضي عن ترسيم ملف "التراث الموسيقي في أرشيف البارون ديرلانجي" في سجل ذاكرة العالم للمنظمة.

وحرصت اليونسكو على هامش الدورة الثامنة عشرة للجنة الحكومية الدولية لصون التراث الثقافي غير المادي للمنظمة، التي انعقدت أشغالها خلال الفترة ما بين 4 و9 ديسمبر في كاساني بشمال بوتسوانا، على تسليم شهادة ترسيم الأرشيف الورقي الموسيقي للبارون ديرلانجي إلى تونس.

وتسلّمت وزيرة الشؤون الثقافية الدكتورة حياة قطاط القرمازي، الأربعاء الماضي، شهادة الترسيم، خلال حفل بالمناسبة تم تنظيمه بمركز الموسيقى العربية والمتوسطية النجمة الزهراء.

وأكدت وزيرة الثقافية، في كلمة ألقتها بالمناسبة، أن تسجيل الأرشيف الورقي الموسيقي للبارون ديرلانجي في سجل ذاكرة العالم مكسب يَعكس حرص وزارة الشؤون الثقافية على صون تُراثنا الوطني وتثمينه وتنزيله المكانة اللّائقة به ضمن التراث العالمي والإنساني في بُعديه المادي وغير المادي، ويمثل اعترافا بأهميّته البالغة وبقيمته الكونيّة والمعرفيّة لفائدة الباحثين في عُلوم الموسيقى التونسية والعربية وتاريخها ومقاماتها.

ويمثّل ما تركه البارون ديرلانجي من وثائق بالغة الأهميّة شاهدًا على عنايته بالموسيقى العربية واهتمامه الكبير بها، وفق حياة قطاط القرمازي، موضحة "هو إرث يضم آلاف الوثائق، مختلفة الشكل والمضمون، استغرق جردها وتوصيفها العلمي ورقمنتها ست سنوات من البحث والعمل بإشراف عدد من الخبراء والباحثين في اختصاصات مختلفة تتوزع بين علوم التوثيق والأرشيف والرقمنة والعلوم الموسيقية".

وتم إعداد ملف التراث الموسيقي في أرشيف البارون ديرلانجي من قبل خبراء مركز الموسيقى العربية والمتوسطية "النجمة الزهراء"، ويختزل الوثائق النادرة المتعلقة بمعرفة أصول الموسيقى التونسية والعربية والمتوسطية.

ويحتوي الأرشيف الموسيقي للبارون على عدد هام من الوثائق المتعلقة بعدة أنماط موسيقية.

وشددت وزارة الشؤون الثقافية التونسية في بيان نشرته على صفحتها بفيسبوك في مايو الماضي على أن تسجيل الأرشيف الورقي الموسيقي للبارون ديرلانجي في سجل ذاكرة العالم "يدعم الجهود الوطنية المتواصلة للتعريف بتراثنا المادي وغير المادي محليا ودوليا، ولتثمينه وتعزيز مكانته وإبراز ثرائه وجدارته بالحفظ في ذاكرة التراث العالمي".

وينحدر البارون ديرلانجي (1872 – 1932) من أصول ألمانية وهو بريطاني الجنسية وفرنسي المولد. واقترنت شهرته الفنية أثناء إقامته في تونس بولعه بالثقافات الشرقية. فديرلانجي يعتبر من الشخصيات الأوروبية التي عاشت في تونس واهتمت كثيرا بقضايا الفن العربي، ولأنه كان عاشقا للموسيقى فقد نمت لديه فكرة إعداد عمل جامع حول الموسيقى العربية بمختلف أنماطها وضروبها، وفكر في وضع مُؤلف موسوعي يؤرّخ للموسيقى العربية.

وشيّد البارون في تونس قصرا يُعرف باسم مركز النجمة الزهراء استغرق بناؤه حوالي عشر سنوات.

ولفت مدير مكتب اليونسكو بالرباط إيريك فالت، الذي حضر حفل تسليم الترسيم، إلى أن تسجيل الأرشيف الورقي الموسيقي للبارون ديرلانجي ضمن سجلّ ذاكرة العالم هو الأول من نوعه في المنطقة العربية.

وأشاد فالت بإرث ديرلانجي الفني الذي يتضمن تنوعا موسيقيا فريدا من نوعه، مضيفا أن منظمة اليونسكو تسعى من خلال برنامج سجلّ ذاكرة العالم إلى حماية التراث من التدهور والضياع وصونه للأجيال القادمة.

ويرى وزير التربية في تونس محمد علي البوغديري أن هذا الاعتراف الدولي يكتسي أهمية بوصفه يحفظ الذاكرة للأجيال القادمة، مثمنا العمل التشاركي الكبير الذي قامت به مختلف الأطراف المساهمة في تقديم الملف.

وتم خلال حفل تسليم شهادة الترسيم تكريم الباحثين والأساتذة المساهمين في الجرد والرقمنة والتوصيف العلمي للأرشيف الورقي، فضلا عن تنظيم معرض لنسخ من مخطوطات ومدوّنات موسيقية من الأرشيف.

صون التراث للأجيال القادمة

باحثون يقتفون أثر النظام الغذائي للديناصورات

لندن - تم العثور على بقايا اثنين من الديناصورات الصغيرة داخل حفرية تيرانوصور يرجع تاريخها لـ75 مليون سنة، مما يلقي ضوء جديدا على النظام الغذائي المتغير للحيوانات المفترسة القديمة.

ووفقا لدراسة نشرتها دورية ساينس أدفانسز عثر الباحثون على الأطراف الخلفية لاثنين من الديناصورات الصغيرة التي تشبه الطيور، تسمى ستيبيز أسفل القفص الصدري لديناصور جورجوصور صغير السن، وهو من نفس عائلة تيرانوصور ريكس.

ويقول الباحثون المشاركون في الدراسة إن الاكتشاف يشير إلى أن ديناصورات جورجوصور الأصغر سنا كانت تفترس الديناصورات الصغيرة اليافعة، بينما تشير أدلة الحفريات الأولى إلى أن الجورجوصور البالغ كان يهاجم الديناصورات الضخمة الآكلة للنباتات، ويلتهمها.

وكانت الديناصورات الأخيرة تعيش في قطعان، بحسب ما نقلته وكالة الأنباء البريطانية (بي آيه ميديا).

ويعتبر الكشف "دليلا قويا على أن التيرانوصور غيّر نظامه الغذائي خلال نشأته"، وفق تصريح للدكتورة دارلا زيلينتسكي، أحد العلماء المشرفين على الدراسة، لهيئة الإذاعة البريطانية (بي بي سي).

وأضافت زيلينتسكي "نعلم الآن أن تلك التيرانوصورات متوسطة العمر كانت تصطاد الديناصورات الصغيرة اليافعة".

بلقيس فتحي تناشد العالم للتحرك من أجل المناخ

دبي - شاركت الفنانة الإماراتية من أصول يمنية بلقيس فتحي في حفل عالمي حصري عرضت خلاله رفقة نخبة من النجوم من جميع أنحاء العالم النشيد الخيري الرسمي "إرث باق" لمؤتمر الأمم المتحدة عن المناخ (كوب 28) المنعقد في الإمارات.

وقامت بلقيس بمشاركة متابعيها على حسابها في إنستغرام مقطع فيديو من كواليس الحفل، معلقة عليها بالقول "تشرفت بتمثيل دولتي الغالية الإمارات في مؤتمر المناخ كوب 28 ضمن كوكبة من نجوم العالم.. ومقابلة الدكتور سلطان الجابر لتهنئته على هذا الإنجاز العالمي الرائع الذي رفع وسيرفع علم بلادي عاليا كما جرت العادة".

وأضافت "يوم رائع لا ينسى مع الشكر لجميع القائمين وبالأخص الأخ تيمور مرمرشي.. والمبدع المغربي ريدوان".

ونشرت بلقيس قبل الحفل مجموعة من الصور ومقطع فيديو عبر حسابها على إنستغرام شاركت من خلالهما محبيها إطلالتها التي اختارت أن تظهر بها أثناء العرض العالمي.

وكتبت النجمة الإماراتية تعليقا على ما نشرته "تحضيراتي لحضور مؤتمر المناخ كوب 28 في إكسبو دبي بالتزامن مع عيدنا الوطني الـ52.. أعشق اللبس التراثي جدا".

وأنتج الموسيقي المغربي ريدوان العرض الذي يؤكد من خلال اجتماع أصوات وثقافات موسيقية متنوعة فيه على قوة الاتحاد والتعاون الدولي في وجه أزمة المناخ.

واتحدت الأصوات لأول مرة في عرض مباشر خلال الحفل الختامي للقمة العالمية للعمل المناخي في دبي، في دعوة العالم إلى التحرك والعمل يدا بيد لإدارة تغير المناخ والخسائر الطبيعية.

وتضمنت الأغنية اللغات الرسمية الست للأمم المتحدة: العربية والصينية والإنجليزية والفرنسية والروسية والإسبانية، إضافة إلى الهندية والباهاسا والفيتنامية والبرتغالية.

اللبنانيون يضيئون شجرة رمزية للميلاد

بيروت - تجمع عدد من اللبنانيين على ضفاف بحيرة بنشعي في قضاء زغرتا (شمال لبنان)، حيث تمت إضاءة شجرة ميلاد رمزية وضعت في قارب صغير وتركت تسبح في البركة الهادئة وسط حرص المتجمهرين على التقاط الصور.

وقدمت فرقة محلية تطلق على نفسها اسم "عصفورة الرجاء" وتتألف من 20 طفلاً تراتيل الميلاد والأغاني على هامش حفل افتتاح مهرجان "كريسماس باي ذا لايك" (عيد الميلاد على ضفاف البحيرة).

وقالت المنسقة الإعلامية للمهرجان إيفيلينا مهوس إن "هذا المهرجان تحول إلى محطة سنوية للشعور بأجواء العيد في شمال لبنان، فأهل الشمال يتوافدون لبنشعي للاحتفال والفرح".

ولفتت إلى أن المهرجان تتخلله العديد من النشاطات لشهر، في ما يستقبل الزوار بشكل مجاني، وقد تمت على هامشه إضاءة شجرة الميلاد الرمزية الجمعة تحت عنوان "ميلاد الأمل".

وتابعت مهوس أن "إضاءة الشجرة الرمزية تمت وسط البحيرة، في ما تمتد الزينة على كامل البحيرة، لتضفي أجواء من الأمل والفرح على المشاركين"، مشيرة إلى أن "بحيرة بنشعي تعد مركزا للاستقطاب السياحي والبيئي".

وأضافت "في ظل الظروف والحرب في جنوب لبنان وغزة، نعتبر عيد الميلاد تحية أمل ونرفع الصلوات على أمل انتهاء الحرب، ليكون الميلاد ميلاد الأمل والرجاء للعيش بسلام".

وبدأت مظاهر الاحتفال بعيد الميلاد في لبنان منذ مطلع ديسمبر الجاري من خلال احتفالات دينية واجتماعية أبرزها وضع شجرة عيد الميلاد وتبادل الهدايا.

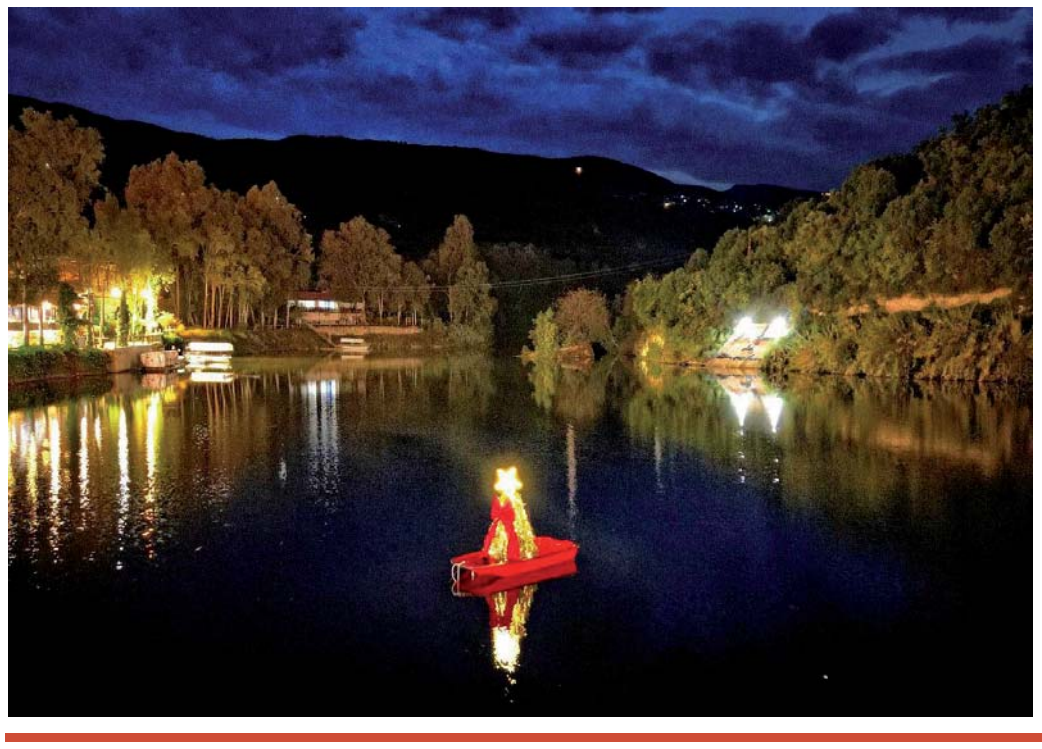

صباح العرب

الحبيب الأسود

احترامي للحرامي

بمناسبة اليوم العالمي لمحاربة الفساد الذي يوافق التاسع من ديسمبر من كل عام، خامرتني عدة أفكار، من بينها أن أكثر الناس تمسكا بشعارات الحرب على الفساد هم الفاسدون أنفسهم، وفي مناسبات عدة رأينا شخصيات تدّعي النزاهة والطهارة والوطنية غير القابلة للتشكيك فيها، وما إن تتولى مسؤولية رسمية في هياكل ذات علاقة بملاحقة اللصوص ومحاربة الرشوة والمحسوبية والمحافظة على أملاك الدولة واسترجاع الثروات المنهوبة حتى تخوض معركة العمل على نيل نصيبها من كعكة المال العام، كمن يرغب في إفطار حدّ الإشباع بعد صيام طويل.

وفي هذه الحالة، يتبين، أن أغلب من يزعمون نظافة اليد والنضال في مواجهة الفساد هم أولئك الذين لم يجدوا في بدايات تجاربهم منفذا لنهب نصيب من المال العام، وقد انكشفت تلك الحقيقة بالدليل والبرهان بعد احتلال العراق في العام 2003، ثم بعد ما سمي بثورات الربيع العربي، حيث تأكدت الشعوب المغلوبة على أمرها أن الأنظمة السابقة كانت محترمة ونزيهة مقارنة بأسراب الجراد التي خلفتها في مواقع السلطة، فأتت على الأخضر واليابس، وكأنها تثأر لنفسها من الدولة والمجتمع ومن الجوع والفقر والعوز، وتراهن على أن تحقق في أشهر ما لم يحققه غيرها في عقود.

ثم إن الفساد الذي يقال إنه رياضة وطنية واسعة الانتشار في بلداننا العربية، وفي أغلب دول العالم، إن لم تكن في كلها، هو دافع أساسي من دوافع ممارسة السياسة والمنافسة على مقاليد السلطة وبالتالي على كسب النفوذ المالي والاقتصادي، وقد رأينا حكاما فاسدين في أغلب الدول الغربية، وبعضهم يذهب للتدخل في شؤون دول أخرى ليمارس فيها ألعاب النصب والنهب والاستغلال والابتزاز على نطاق واسع، وقد رأينا في نوفمبر الماضي كيف استقال رئيس الوزراء البرتغالي الاشتراكي أنطونيو كوستا على إثر فضيحة فساد تتعلق بعقود في مجال الطاقة أدت إلى توجيه التهم لأحد وزرائه ومدير مكتبه، وكيف طلبت النيابة العامة في فرنسا في الأول من ديسمبر الجاري توقيع عقوبة السجن عاما مع وقف التنفيذ على الرئيس الأسبق نيكولا ساركوزي في محاكمة الاستئناف بتهمة تجاوز سقف الإنفاق خلال حملته الرئاسية عام 2012، على أن يمثل لاحقا أمام القضاء للاشتباه في حصوله على تمويل من ليبيا لحملته الرئاسية لعام 2007، ثم كيف قال رئيس السلطة القضائية بمجلس النواب الأميركي جيم جوردان إن الجمهوريين الذين يقودون التحقيق في قضية عزل الرئيس جو بايدن ينظرون في اتهامات محتملة بالرشوة وإساءة استخدام السلطة والعرقلة، على الرغم من أن الاتهامات تستند في جانب كبير إلى ادعاءات تم فضحها بالفعل حول تعاملات بايدن في أوكرانيا ظهرت خلال معركة الرئيس السابق عزل دونالد ترامب.

بل إن حرب غزة التي لا تزال منذ أكثر من شهرين تحصد أرواح الآلاف من المدنيين وتهدم البنى التحتية وتنشر الخراب والدمار في كل مكان تعود في جانب مهم من أسبابها الأساسية إلى رغبة رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو في كسب الوقت لترقيع عذريته واكتساب طهورية زائفة بعد ثبوت تورطه في الفساد وقرب محاكمته في ما يعرف باسم "الملف 1000" الذي اتهم فيه بالاحتيال وخيانة الأمانة، جراء تلقيه هدايا فاخرة من السيجار والشمبانيا والمجوهرات بقيمة 700 ألف شيكل (180 ألف يورو) بين الأعوام 2007 و2016 من أثرياء، مقابل خدمات مالية أو شخصية، بمن فيهم صديقه المنتج الإسرائيلي في هوليوود أرنون ميلتشين.

وعموما، وكما قال الشاعر الأمير عبدالرحمن بن مساعد في قصيدته التي تحولت إلى أغنية غنتها آمال ماهر "احترامي .. للحرامي/صاحب المجد العصامي /صبر مع حنكة وحيطة/وابتدأ بسرقة بسيطة/وبعدها سرقة بسيطة/وبعدها تَعدى محيطه/ وصار في الصف الأمامي"... ومن الصعب أن يكون هناك من يتمركز في الصف الأمامي دون أن تكون له علاقة بالفساد أو بالفاسدين.